لو بايع الحسين؟!

السيد عبد الكريم فضل الله
الحسيني العاملي

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

حُقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م

دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع

حارة حريك ـ شارع المقداد هاتف: ٠٩٤ ٥٥٤ / ٠١ ـ خليوي: ٨٧٩٠٤٨ / ٠٣

فاكس: ٦٠١٠١٩ ـ ص.ب: ٩٣٧٠

إهداء

إلى سيد الشهداء (عليه السلام)..

إلى الإمام المهدي (عج) مُهدِي الحرية والعدالة لهذا العالم..

إلى عشّاق الحرية والحقيقة في مشارق الأرض ومغاربها..

إلى والديّ اللذين ملأا البيت بحبّ الإيمان والعلم والحرية..

أهدي هذا الكتاب

دوافعي للكتابة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله قاصم الجبّارين، مبير الظلمة ومدرك الهاربين.

بسم الله ربّ الأنبياء والأوصياء والشهداء والصدّيقين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين، وعلى مَنْ تبعهم بصدق وإحسان إلى قيام يوم الدين.

لطالما رأينا الحسين (عليه السلام) ثائراً ضد الظلم، ثائراً أبى أن يحني هامته أمام جبروت المستكبرين؛ وقد يراه البعض من قليلي التأمل مثله مثل

الكثيرين من قبله ومن بعده ممن استشهدوا وضحّوا بكل غالٍ ونفيس من أجل كرامتهم وعزّهم.

ولطالما رآه البعض رجلاً عظيماً أراد الوصول إلى السلطة ليحقَّ الحقَّ ويحكم بالعدل، كما قد يوحي بذلك قوله (عليه السلام) في وصيته لأخيه محمد بن الحنفية:

"إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومَنْ ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين".

وقد يراه البعض من قليلي التأمل أيضاً مثله مثل الكثيرين في أنحـــاء المعمورة ممَنْ ثار ضد الظلم، وحاول الوصول إلى السلطة من أجل إصلاح الأمّة.

لم تَرُقْ لي هذه الصورة الباهتة للحسين (عليه السلام) ولكربـــلاء، لقد كنت أرى شعاعاً من نور يلمع بين السطور، خفي على الكثـــيرين، شعاعاً يضيء جانباً مهماً ورئيسياً من أرض المعركـــة، لم تطـــأه أقـــدام الروائيين والقصّاص، ومنهم كثيرون من مُوالي الحسين (عليه الســـــلام)، الذين أحبُّوا أن يكون الحسين (عليه السلام) بطل ملحمة كربلاء، بطـــلاً شعبياً بامتياز، هو وأخوه أبو الفضل العباس وابنه عليّ الأكبر وبقية أهـــل بيته وأصحابه، في الشجاعة والبطولة وحسن البلاء في أرض المعركة، مـــع ما رافق ذلك من أرقى معاني الإنسانية من التفاني والتضحيـــة والمـــروءة والإيثار.

ثمّة فواصل في كربلاء تدلّ على أنّ الحسين (عليه السلام) لم يكـــن مجرّد ثائر، كربلاء كانت أكثر من "شقشقة"، لقد كانت أكبر من ثـــورة،

وأعظم من نهضة، بل وأقسى صفعة لتلك الأمّة المخدَّرة الواهيـــة أمـــام جلاّديها، كما سنبيِّن ذلك في الكتاب.

أخوه الإمام الحسن (عليه السلام) من قبله، وأولاده الأئمة (عليـــهم السلام) من بعده، لم يقوموا بعمل ثوري مماثل، على الرغم من أنّ وتـــيرة الاضطهاد كانت في ارتفاع مستمر؟!

تُرى هل يختلف معاوية عن يزيد؟ أو هل يختلف يزيد عـــــن بـــني العباس عن غيرهم من السلاطين الذين جاؤوا بعدهم؟

وتتوالى التساؤلات التي طُرِحَتْ علينا:

أين هو التمايز الذي جعل الحسين (عليه السلام) حيّاً، نبكيه بعـــد أكثر من ١٤٠٠ عام على استشهاده، بل تتجدّد ذكراه وتزداد انتشـــاراً كلما مرَّت السنين، وهذا على خلاف حال الدنيا التي طَبَعَت الناس علـى النسيان مع مرور الأعوام؟

أين هو التمايز عن كل شهداء التاريخ الذي جعله مدرسة لكل الأحرار، يقتدون به، وجعل أهل الظلم يخشون اسمه، فيحاربون ذكراه ونهجه، وهم مستمرون على ذلك إلى يومنا هذا؛ فليست محاربة الحسين (عليه السلام) ونهجه مقتصرة على بني أميّة كي يقال إن الحسين كان ضد بني أميّة وحسب.

وبدأت أفتش في كتب السيرة والتاريخ، أقارن وأحلّل، علّني أصل إلى ذلك التمايز.

وإن كان لكل إمام دور، فما هو دور الحسين في استشهاده؟ وما هو موقع كربلاء من الرسالة الإسلامية؟

باختصار:

يقول الله عزّ وجل في كتابه الكريم:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[1].

---

(١) سورة هود، آية ١١٣.

فجاء سلاطين الظلم وقالوا:

"بل اركنـــوا إلى الذيـــن ظلمـــوا

فتدخلوا الجنّـــة".

لقد قلبوا الهرم على رأسه، فجاء الحسين (عليه الســـلام) ليعيـــده مستوياً.

لقد كان الحسين مدرسة عدالة الإسلام في مواجهة مدرسة **أســـلمة الظلم**.

وهذا كانت كربلاء للتاريخ، للإنسان، لكل شعوب الأرض.

ولهذا كانت الدمعة السخيَّة على مصاب الحسين، ولهـــذا تتجـــدّد ذكراه.

ومع تجدد الذكرى يتجدد بثّ نَفَس روح الحرية الحقيقية في النفوس الخائرة، وهنا أسجّل استغرابي لاقتصار الاحتفال بذكرى الاستشهاد علـى

بعض المسلمين، ولا يحتفل الآخرون من المسلمين وغيرهم من بقية الأديان والملل، فيُحرمون من كثير من أنوار وبركات عاشوراء.

وسيتبيَّن أن الحسين لم يطلب المعركة، لقد كانت حركته سلميَّة، ومعركته دفاعية، ومواجهته ضرورة لبقاء الإسلام والإنسان.

نعم، لو لم يواجه الحسين، ولم يحصل الفرْز بين المدرستين: مدرسة أهل البيت ومدرسة بني أميَّة، ولو بايع الحسين، لكان الإسلام الباقي على الأرض هو المتمثِّل في سلاطين المسلمين، والذي سيؤدِّي حتماً إلى انتفاضة عليهم، وثورة من قِبَل الشعوب، لتراكم مظالمهم عبر السنين، ولن يُفرِّق الثائرون حينئذٍ بين الإسلام وبين هؤلاء السلاطين، لاندثار الإسلام الأصيل[1]، وانحصار الإسلام بهم، وبهذا يزول ذكر القرآن والإسلام كلياً عن وجه الأرض، وحينئذٍ تخسر البشرية أعظم دين جاء رحمة للعالمين،

---

(١) طبعاً، لو لم تحدث كربلاء، ولكن مع كربلاء، حدثت الثورات على بني أميَّة، وأزيلوا عن عروشهم، وقامت الثورات ضد السلاطين لا ضد الإسلام.

ويذهب كل جهاد الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله) من أجل الإنسانية، ومن هنا صدق مَنْ قال:

"الإسلام محمديّ الوجود،

حسيني البقاء".

من أجل كل هذا جئت بهذا الكتاب، وتوخّيت تبسيط العبارة، وتسهيل المطالب، والاختصار ما أمكن، فأتيت بنماذج من الآيات والروايات والأحاديث الشريفة، والأحداث التاريخية والأقوال والمواقف، عند أي تحليل أو نظرة أو فكرة، كشواهد وأدلّة وبراهين لما أردت بيانه، كي أسهّل على القارئ العزيز، وتركت الباقي ليرجع إليه الراغب في التوسع.

ولم أتطرق لكثير من الأبحاث في الحالات الاجتماعية والأوضاع الإقتصادية والسياسية التي سبقت أو واكبت وقعة الطف، لاقتصاري منها على ما يهمّ بحثنا في الكتاب، وهو تسليط الضوء على جانب مهم من كربلاء، ودور مهم من أدوار الإمام الشهيد الحسين (عليه السلام).

آملاً من الله جلّ شأنه أن يَنْفَع به، وينفعني به يوم لا ينفع مـــال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم، إنه أكرم الأكرمين.

حرر في بيروت
صباح الجمعة ٢٨ شوال ١٤٢٠ هجرية
على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام

عبد الكريم فضل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

ذهنية السلطة الأموية

نظرة سريعة على ماضي معاوية:

كان من الصعب على معاوية بن أبي سفيان أن يحكم المسلمين بعد أن صار الحاكم والسلطان والأمير والخليفة عليهم، إنه يحكمهم باسم الإسلام، وكخليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، مع أنه حارب الإسلام وحارب الرسول (صلى الله عليه وآله) قرابة واحد وعشرين عاما مع أبيه أبي سفيان بن حرب، ومع كفار قريش، حربا ضروسا شرسة، يشيب لهولها الصغير ويهرم من ضراوتها الكبير، يؤلبون ذؤبان العرب

وأفاعي الصحراء من وثنيين ومنافقين ويهود، لا يتركون وسيلة إلاّ ويحاربون فيها الله ورسوله[١].

كيف يمكن أن يستقر لمعاوية حكم المسلمين باسم الإسلام، وباسم خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهو ابن أبي سفيان، وابن آكلة الأكباد هند بنت عتبة التي بقرت بطن الحمزة بن عبد المطلب عمّ الرسول (صلّى الله عليه وآله) واستخرجت كبده ولاكته تشفياً وحنقاً وكرهاً للإسلام وللرسول (صلّى الله عليه وآله)، ومعاوية لعنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عندما نظر إلى أبي سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده، ويزيد ابنه الآخر يسوقه، فقال (صلّى الله عليه وآله):

لَعَن الله الراكب والقائد

والسائق[٢].

---

(١) وإن كان يتمتع من جهة أخرى بتأثير قسم كبير من بطون قريش وبعض قبائل العرب التي أسلم معظمها بعد فتح مكة، فلمّ تترسخ المفاهيم الإسلامية في قلوبهم، بل بقيت الجاهلية متجذّرة فيهم، خصوصاً أولئك الذين يحقدون على علي بن أبي طالب كونه وترهم وقتل أبطالهم أثناء معارك النبي (صلّى الله عليه وآله) دفاعاً عن الإسلام.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٢، ص١٠١، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

وكأنه يريد أن ينهانا عن منهجية هؤلاء ومسلكهم وذهنيتهم وكيفية تعاطيهم مع الحياة[١].

ومعاوية لم يسلم إلاّ عند فتح مكة، أي قبل وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله) بحوالي سنتين فقط، أي عندما دخل كفّار قريش في الإسلام، وأصبح ديناً يعترف الجميع بعدم إمكان إلغائه أو الانتصار عليه، وأصبح المسلمون مرهوبي الجانب، وقوة ذات شوكة، وأصبح الدخول في الإسلام عزاً وفخراً، ومحاربته ذلاً وهواناً، وكان لا بدّ حينئذٍ من الدخول في الإسلام.

---

(١) اللعن غير السبّ، فاللعن كما عن لسان العرب هو الإبعاد عن الخير، وقيل الإبعاد عن الله، فهو عبارة عن وضع حاجز نفسي بينك وبين الملعون لتبتعد عن ذهنيته وخلفيته النفسية، ولذا كان الرسول (صلّى الله عليه وآله) كثيراً ما يلعن، كقوله (صلّى الله عليه وآله): "لَعَن الله من ألقى كلّه إلى الناس"، فهو لا يشتم ولا يسبّ، بل يريد أن ينهانا عن نمط تفكير هذا الإنسان ونمط حياته، هذا الإنسان الكسول غير العامل وغير المنتج، يريد أن يبعدنا عنها لعدم وجود خير فيها، كذلك قوله (صلّى الله عليه وآله): "لَعَن الله مَنْ تخلّف عن جيش أسامة"، يريد توجيهنا إلى الخط المستقيم، ولذا نجد القرآن الكريم يلعن ﴿**أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون**﴾ وكذلك الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، بينما لا نجده يسبّ ويشتم.

ذهنية معاوية:

ومعاوية يريد أن يعيش كما يحلو له، يريد أن يجعل أموال النـــاس ومصائرهم بيده، طيعة لنـــزواته وأهوائه ومن حوله من بني أمية، ليجعـــل من الخلافة الإسلامية حكما ديكتاتوريا تسلطيا كسرويا قيصريا وراثيـــا، يسفك الدماء التي حرم الله، ويتعدى على حرمات الله، ويستولي علـــى أموال الناس بالقهر، يمنع من يشاء، ويعطي من يشاء، ويعين من يشـــاء، ويعين ابنه يزيد شارب الخمر والمعلن بالفجور خليفـــة وســـلطانا علـــى المسلمين من بعده.

كان معاوية يقول:

المـــال مـــال الله، وأنـــا خليفـــة الله، فما أخـــذت فلـــي، ومـــا أعطيـــت فبالتفضل مـــني[1].

---

(١) وفي مروج الذهب: "الأرض لله وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان حائزا لي. فقال له صعصعة بن صوحان:

تمنـــيك نفسك ما لا يكـــون ... مـــهلا معـــاوي لا تـــائم

مروج الذهب للمسعودي، ج٣، ص٥٢، طبعة مصر، مطبعة السعادة، الطبعة الرابعة.

يرتكب معاوية الآثام وهو يعلم ذلك، وستأتي أقواله، ويجعل الخلافة وإمامة المسلمين ملكاً عضوضاً وراثياً (ونعلم كم للخلافة من أهمية بالغة في حياة المسلمين التشريعية والإقتصادية والسياسية والإجتماعية) كل ذلك نزولاً عند رغبته في تعيين ابنه يزيد من بعده، وهو يعلم أن في ذلك إثماً وتحطيماً للإسلام.

يقول معاوية مخاطباً ولده يزيد:

أيّ ولد أعقّ منك وأكْيَد، وقد علمتَ أنّي تخطّأتُ (أي تأثّمتُ) الناس كلهم في تقديمك، ونزّلتهم لتوليتي إياك، ونصبتك إماماً على أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وفيهم مَنْ عَرَفْتَ! وحاولتُ منهم ما عَلِمْتَ[1].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري، تحقيق طه محمد الزيني، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، الجزء الأول، ص١٦٧.

ويبقى السؤال الكبير لدى معاوية: كيف يتمكّن من كل هذا وهو يخالف الإسلام، والحال أنه يحكم باسم الإسلام؟!!

الحلّ:

إنه لا يريد أن يعارضه أحد، رغم أن ما يفعله يخالف بديهيات الدين، فكان لا بدّ (برأيه) من تغيير للمبادي الإسلامية، ليجعل كل أفعاله وظلمه أفعالاً إسلامية، وبهذا يسكت عنه الناس، ويطلق لنزواته العنان.

ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟

وفكّر معاوية... وفكّر، فتوصل إلى فكرة جهنمية خطيرة. لقد قرّر إنشاء مدرسة فكرية أخرى، هي مدرسة بني أميّة، تواجه مدرسة أهل البيت (عليه السلام) التي أسّسها رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

معالم المدرستين:

ـ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

ـ مدرسة بني أميّة

مدرسة أهل البيت (عليهم السلام):

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلّف عنها غرق، (وفي رواية هلك)[1].

معالم مدرسة أهل البيت:

تتمثّل هذه المدرسة في بعض جهاتها التي تهمّ بحثنا بأمور:

١. برفض الظلم بجميع أنواعه، واعتباره غير شرعي، وبترسيخ مبادئ العدالة الإنسانية، ببناء مجتمع تسوده العدالة، ومبدأ تكافؤ الفرص

---

(١) هو من الأحاديث المتواترة عند المسلمين، وقد ورد بألفاظ وصيغ متعددة، ودوّنته الكثير من كتب الحديث، فقد رواه الحاكم في المستدرك، الجزء الثاني، ص٣٤٣، والسيوطي في إحياء الميت، ص٤٦، وابن حجر في الصواعق المحرقة، ص١٨٦، طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة، والطبري في ذخائر العقبى، ص٢٠، وفي غيرها كثير.

والمساواة أمام القانون، نذكر هنا مثالاً قضية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) مع النصراني والدرع:

خرج علي بن أبي طالب (رض) إلى السوق، فإذا هو بنصراني يبيع درعاً، فعرف علي (رض) الدرع، فقال هو درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين، وكان قاضي المسلمين شريح، كان عليّ استقضاه، (أي عيّنه قاضياً) فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس القضاء وأجلس عليّاً في مجلسه، وجلس شريح قدّامه إلى جنب النصراني، فقال عليّ:... اقضِ بيني وبينه يا شريح. فقال شريح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟

فقال عليّ (رض): هذه درعي ذهبت مني منذ زمان. فقال شريح: ما تقول يا نصراني؟ فقال النصراني: ما أكذّب أمير المؤمنين، الدرع هي درعي. فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده، فهل من بيّنة؟ فقال (رض): صدق شريح[1]. فقال النصراني: أمّا أنا أشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، هي والله يا أمير المؤمنين درعك، اتبعتك من الجيش وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتها، فإني أشهد أن لا إله إلاّ

(١) لأن اليد أمارة على الملكية، ولا ترفع اليد عن هذه القاعدة إلاّ ببيّنة.

الله، وأن محمداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله). فقال علي: أمّا إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فرس عتيق[1].

٢. بناء مجتمع حرّ، ضمن الحدود الإنسانية والأخلاقية والشرعية، كي لا تكون فوضى، وذلك في الفرد والمجتمع، مسلكاً وفكراً، وفي تعاطي الدولة مع الشعب.

نظرة الإسلام إلى الحرية:

ينظر الإسلام إلى الحرية أنها ليست مجرد حق كما هي أفضل النظريات في الفكر الغربي الحالي، بل ينظر إليها أنها أهمّ من الحقّ، إنها قيمة إنسانية، لأن قيمة الإنسان بحريته، فكلما ازداد حرية ازداد إنسانية،

---

(١) ترجمة الإمام علي (عليه السلام) لابن عساكر، ج٣، ص٢٤٤، تحت رقم ١٢٦٢، مطبعة المحمودي، بيروت.

وإذا أمكن التخلّي عن الحق[١]، فإن القيمة والجوهر لا يمكن التخلّي عنهما؛ وذلك أن الإنسان هو مخلوق الكون الأسمى الذي يتمتع بالإرادة والاختيار، فالجمادات تتحكّم بها قوانين الطبيعة، والحيوانات تتحكّم فيها غرائزها، والملائكة مخلوقات مطيعة لا تملك هوى يدفعها إلى المعاصي، ولذا ورد في الحديث ما مضمونه أن الخلق ثلاثة: شهوة بلا عقل وهو الحيوان، وعقل بلا شهوة وهم الملائكة، وعقل وشهوة وهو الإنسان. فإن تغلّبت شهوته على عقله كان أحسّ من الحيوان، وإن تغلّب عقله على شهوته كان أفضل من الملائكة.

وقد ورد في القرآن الكريم:

﴿لا إكراه في الدين﴾[٢]، و **﴿إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا﴾**[٣].

---

(١) كما لو تخلّى الإنسان عن حقه في الاختصاص بشيء، أو تخلّت المرأة عن حق حضانة الطفل.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٣) سورة الإنسان، آية ٣.

كما اشتهرت كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام):

لا تكونَنَّ عبد غيرك وقد خلقك الله حراً[١].

كذلك الحسين (عليه السلام) في يوم عاشوراء يخاطب أهل الكوفة:

يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم[٢].

٣. حق الإنسان في رعاية الدولة أو المجتمع، وذلك بترسيخ الأمان، وسدّ حاجات الناس، وهو ما يسمّى في أيامنا هذه بالضمان الاجتماعي، بما يكفل الحياة الكريمة للجميع.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم للآمدي، ص٤٢١، طبعة دار الصفوة، بيروت.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين، ص٥٠٤، طبعة دار المعروف.

الضمان الإجتماعي وضمان الشيخوخة

يروى أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان في بعض شوارع الكوفة، فمرّ شيخ مكفوف كبير يسأل (أي يتسوّل)، فقال أمير المؤمنين(عليه السلام):

ما هذا؟ قالوا يا أمير المؤمنين نصرانيّ. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال[1].

انظر كيف كانت مدرسة أهل البيت تنظر إلى كرامة الإنسان، فتؤسس الضمان الاجتماعي الكامل، ومنه ضمان الشيخوخة[2].

---

(١) وسائل الشيعة للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، ج١١، ص٤٩، ب١٩، أن نفقة النصراني إذا كبر وعجز عن الكسب من بيت المال، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تعتبر بعض الدول المتقدمة حالياً هذا النوع من الضمان من أهم إنجازاتها الإجتماعية، لكن كما نرى فإن الإسلام على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) سبق العالم كله بتأسيس ضمان الشيخوخة، أي أنه أسس هذا النوع من الضمان قبل ١٤٠٠ عاماً تقريباً.

٤. الاستمرار على ترسيخ الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد (صلّى الله عليه وآله) وبيان أحكامها وقواعدها.

٥. الحفاظ على الدين بشقّيه العقائدي والتشريعي.

٦. أن يكون الخليفة هو المثال العقائدي والتشريعي[١].

وأذكر هنا قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في رسالة لعثمان بن حنيف الأنصاري، وكان واليه على البصرة، وقد بلغه أنّه دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليها[٢]:

أما بعد يا ابن حُنَيف، فقد بلغني

أن رجلاً من فتية أهل البصرة

دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها،

تستطاب لك الألوان، وتنقل

---

(١) لا أريد أن أطيل في هذا فقد كتب عنه الكثيرون.

(٢) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٤٥ من كتب أمير المؤمنين ورسائله، وهو كتاب الإمام علي (عليه السلام) لواليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري.

إليك الجفان[١]، وما ظننت أنك
تجيب إلى طعام قومٍ عائلهم[٢]
مجفوّ، وغنيّهم مدعوّ، فانظر إلى
ما تقضمه[٣] من هذا المقضم،
فما اشتبه عليك علمه فالفظه،
وما أيقنت بطيب وجهه فنل
منه. ألا وإن لكل مأموم إماماً
يقتدي به، ويستضيء بنور
علمه، ألا وإن إمامكم قد
اكتفى من دنياه بطِمريَه[٤]، ومن
طُعْمه بقرصيه، ألا وإنكم لا
تقدرون على ذلك، ولكن
أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة

---

(١) الجفان: الأواني والأطباق.
(٢) العائل: الفقير. مجفو: مُعْرَض عنه.
(٣) تقضمه: تأكله ببعض الفم.
(٤) الطمر: الثوب الخَلِق البالي.

وسداد، فوالله ما كنزتُ من
دنياكم تبرا[١]، ولا ادَّخرت من
غنائمها وَفرا، ولا أعددت لبالي
ثوبي طِمرا، ولا حزْتُ من أرضها
شبرا، ولا أخذت منه إلاّ كقوتَ
أتان دَبِرَة[٢]، ولَهِيَ في عيني
أوهى من عفصة مَقِرة[٣]

.....

.....ولو شئت لاهتديت
الطريق إلى مصفّى هذا العسل،
ولباب[٤] هذا القمح، ونسائج
هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني
هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر

---

(١) التبر: الذهب.
(٢) أنثى الحمار التي عُقر ظهرها، فقلّ أكلها.
(٣) مقِرَة: مُرّة.
(٤) لُباب: جمع لُبّ.

الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو باليمامة[١] من لا طَمَع له في القرص[٢] ولا عهد له بالشبع، أوَ أبيتُ مبطاناً[٣] وحولي بطون غرثى[٤] وأكبادٌ حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبُك داءً[٥] أن تبيتَ ببطنةٍ
وحولك أكبادٌ تحنُّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يُقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوةً

---

(١) منطقتان في شبه الجزيرة العربية.

(٢) أي: لعلّ في بلاد المسلمين أو في الأطراف من اعتاد الجوع.

(٣) المبطان: من لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل.

(٤) غرثى: جائعة.

(٥) وفي نسخة أخرى (عاراً).

همم في جشوبة[١] العيش. فما خُلِقْتُ لِيَشْغَلَني أكلُ الطيِّبات كالبهيمة المربوطة همُّها علفها، أو المُرْسَلَة شغلها تَقَمُّمها[٢]، تكترش[٣] من أعلافها، وتلهو عما يُراد بها، أو أُترك سدىً، أو أُهْمَل عابثاً، أو أجُرَّ حبل الضلالة، أو أعتسفَ طريق المتاهة[٤].

المدرسة الأموية:

إن المبادئ الإسلامية المتمثلة بمدرسة أهل البيت لا يمكن أن يجعلها معاوية مسلكاً له، إنها تقف بوجه كل نزواته ورغباته.

---

(١) الجشب: الخشن.

(٢) تقممها: أكل البهيمة ما بين يديها بشفتيها.

(٣) تكترش: تملأ كرشها.

(٤) أي السلوك في طريق غير واضح متحيراً.

وإنه اليوم حاكم.

وقرر أن ينشئ مدرسة أخرى، معالمها تناقض معالم مدرسة أهل البيت، وعناصرها تناقض عناصرها، بحيث تجعل الإسلام ديناً يخدم مصالح وأهواء ونزوات بني أميّة.

إن بيده المال والسلطة، يستطيع أن يشتري بهما ضمائر الشعراء والخطباء والقصّاصين، أي جميع وسائل إعلام ذلك العصر، بل يستطيع أن يشتري حتى ضمائر بعض الفقهاء أو المحدّثين.

ولمعت برأسه هذه الفكرة الخطيرة، التي تحتاج إلى تفكير ودهاء.

وقرّر أن ينشئ مدرسة تواجه مدرسة أهل البيت، إنها المدرسة الأموية، يعطيها لباس الإسلام، لتصبح المدرسةُ الأموية هي المدرسة الإسلاميةُ، وليذهب إسلام محمد (صلّى الله عليه وآله)، ويستبدله بإسلام آخر، إنه إسلام بني أميّة.

وبهذا يرتاح من مقارعة الدين والمتدينين له؛

إنه يواجه الدين بالدين.

معالم المدرسة الأموية

تحريم مقاومة الظلم:

وذلك بضرورة طاعة الحاكم ولو كان ظالما فاسقا، واعتبار الوقوف في وجه ظلمه من المحرمات الشرعية.

ونتيجة هذا التوجيه، أن يصبح حكام بني أمية واجبي الطاعة، ولا يجوز شرعا أن يقال لهم "لا" على أي منكر يقومون به، بل يجب طأطأة الرؤوس لهم حتى لو ظلموا الناس واغتصبوا أموالهم، وصرفوها في ملذاتهم، يعيشون حالة الترف والإسراف والتبذير بينما يعيش الناس حالة الإملاق والفقر، وحتى لو سفكوا الدماء وداسوا الكرامات وملأوا السجون بالأحرار.

تعليق:

هل يمكن لفكر كهذا الفكر أن يكون دينا سماويا، وأن يلقى انتشارا، وقد قال الله عز وجل عن رسوله الكريم النبي محمد (صلى الله عليه وآله):

﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[١].

هل الركون إلى الظالمين ووجوب طاعتهم يمكن أن يقبل به إنسان في الدنيا؟!

العمود الفقري للفكر الإسلامي:

إن كل مَنْ قرأ القرآن وأحاديث الرسول (صلّى الله عليه وآله) وآثار أهل البيت النبوي (عليه السلام)، يجد رفض الظلم بشتى أنواعه هو العمود الفقري للدين.

رفض الظلم يجري في دماء البشر:

إن النفس البشرية تأبى الظلم بكل أنواعه، سواء كان من الدولة للدولة، أم من المجتمع للمجتمع، أم من الفرد للمجتمع، أم من الدولة للفرد، أم من المجتمع للفرد، أم من الفرد للفرد، وسواء كان ظلماً

---

(١) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

اقتصادياً، مادياً، معنوياً، بدنياً، نفسياً، اجتماعياً، وبعبارة أخرى في كل مناحي الحياة.

التصدي للظلم من طبيعة البشر:

والنفس البشرية تطلب من كل مظلوم أن يتصدى لظالمه بشتى أنواع التصدي، فيعدّ العدّة له، ويحاول أن ينصف نفسه منه، ولذا وصف الناس (بأكملهم، منذ آدم (عليه السلام) إلى يومنا هذا، وفي كل أصقاع المعمورة، وحتى الذين لم يسمعوا بدين ولا نبي) الذي يُقتل دفاعاً عن حقّه، عن نفسه، عن ماله، عن عرضه، عن أرضه، أنه عظيم، مادحين له، معتبرين إياه من أنبل بني البشر، ويقيمون له النصب التذكارية تقديراً لتصدّيه للظالم دفاعاً عن المظلوم.

الفطرة البشرية:

إنها الفطرة البشرية،

﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾[1].

---

(١) سورة الروم، آية ٣٠.

في قلب كل منّا ضمير يحكم في أعماقنا: إن العـــدل حســـن، وإن الظلم قبيح، وإن التصدّي للظلم واجب إنسانيّ.

تأكيد الإسلام لهذه الفطرة:

ولمّا كان الإسلام دين الفطرة، أي دين يوافـــق طبيعـــة البشـــر، ويتناسب مع خلقتهم، أكّد على مسألة وجوب رفض الظلم وذمّه.

القرآن:

ـ ذمّ الظلم:

ورد أكثر من أربعمائة آية قرآنية في ذمّ الظلم ولزوم الابتعاد عنـــه، والتوعد عليه بالنار والعقاب.

ـ وجوب التصدّي للظالمين:

كما حثّ القرآن على عدم الاستسلام وعدم الخضوع للظالمين، قال الله تعالى:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون﴾[1].

ويقول جلّ شأنه:

﴿أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وأن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله﴾[2].

وقد ورد في كتاب "دعائم الإسلام" للقاضي النعمان المصري أنه قيل للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام):

إن الناس يقولون إنما نزلت في المهاجرين الذين أُخرجوا من مكّة لقوله تعالى بعقب ذلك:

---

(١) سورة هود، آية ١١٣.

(٢) سورة الحج، آية ٣٩.

﴿الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله﴾.

قال: (أي الإمام الصادق (عليه السلام)): هي في أولئك وفي جميع مَنْ كان في مثل حالهم ممن ذكرناه، ولو كانت فيهم خاصة لم يكن يؤذن في الجهاد لغيرهم[1][2].

ويقول تعالى أيضاً:

﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾[3].

ويقول تعالى أيضاً:

---

(١) دعائم الإسلام، ج١، ص٣٧٥.

(٢) وفي هذا إشارة إلى القاعدة المشهورة في تفسير القرآن من أنّ المورد لا يخصص الوارد.

(٣) سورة النساء، آية ٧٥.

﴿قالوا فيم كنتم؟ قالوا كنّا مستضعفين في الأرض. قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[١].

وواضح فيها عدم قبول الله تعالى الضيم والهوان للمؤمن.

ويقول تعالى أيضاً:

﴿ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[٢].

السنّة الشريفة:

والأحاديث كثيرة جداً في ذمّ الظلم، وفي التصدّي له؛ فقد ورد عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله):

أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر[٣].

---

(١) سورة النساء، آية ٩٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٤.

(٣) وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الباب الثاني، الحديث الأول.

وورد عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أيضاً:

مـــن قُتـــل دون مظلمتـــــه فـــهو شـــهيد[1].

وأحاديث أخرى كثيرة جداً لا مجال لذكرها، فليراجع من أرادها.

المدرسة الإسلامية:

إن العمود الفقري للمدرسة الإسلامية وللفكر الإسلامي هو رفـــع الظلم وقتاله والتصدي له، فكان العدل من صفات الله ومأمور به:

﴿اعدلوا هو أقـــرب للتقـــوى﴾[2].

بل وجعله الله جلّ شأنه أوّل ما ينبغي على العبد الامتثال له:

﴿إنّ الله يـــــأمر بـــــالعدل والإحســـان...﴾[3].

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الجهاد، الجزء ١١، الباب ٤٦ من أبواب جهاد العدو وما يناسبه، الحديث الثاني، طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٢) المائدة، الآية ٨.

(٣) النحل، الآية ٩٠.

وجعل العبادات تطهيراً للإنسان، فأمر بالصلاة:

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[1].

والظلم أشدّ المنكرات، وأمر بالزكاة لكي لا يكون المال دُولةً بين الأغنياء (كما هو التعبير القرآني) ، بل جعل في أموال الناس حقاً معلوماً للسائل والمحروم، فلا يترف غني في الوقت الذي يجوع فيه فقير[2]، بل يأخذ كل إنسان حاجته بما يضمن كرامته.

بل التشريعات الإسلامية في المعاملات لاحظت هذه الجهة، جهة عدم الظلم، فجعلت المعاملات تمنع ظلم جانب لحساب جانب آخر، فقال تعالى:

---

(١) العنكبوت، الآية ٤٥.

(٢) في سورة الحشر، آية ٧: **﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُوْلَةً بين الأغنياء منكم...﴾**.

﴿ولا تـأكلوا أموالكـم بينكـم بالبـاطل إلاّ أن تكـون تجـارة عـن تـراضٍ﴾[١].

وحرّم الغصب والاعتداء:

﴿فمـن اعتـدى عليكـم فـاعتدوا عليه بمثل ما اعتـدى عليكـم﴾[٢].

أي يجازيه جزاء اعتدائه بمثل ما اعتدى به من دون زيادة، كـي لا ينقلب المظلوم ظالماً، والآية تشرّع جواز التصدّي للظلم.

وحرّم الله الربا:

﴿وأحـلّ الله البيـع وحـرّم الربـا﴾[٣].

---

(١) النساء، الآية ٢٩.

(٢) البقرة، الآية ١٩٤.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٧٥.

لأن الربا يعتمد بشكل أساسي على أهمية وأصالة رأس المال على حساب الطرف الآخر، وهو اليد العاملة (أي المقترِض) وبالنتيجة تقديم وتفضيل صاحب رأس المال على العامل المقترِض، ولذا لا يجوز في الربا أن يخسر صاحب المال في أية حالة، بل الربح دائماً في جانبه والخسارة (إن كانت) يتحمّلها المقترِض دائماً.

وبعبارة أخرى، الربح في المعاملات الربوية دوماً في جانب، والخسارة (إن حصلت) فيها دائماً في الجانب الآخر.

أليست هذه المعادلة ظالمة؟! أوليست تؤدي إلى أن ينهش وحش المال فريسته مستغلاً حاجته إلى المال؟! أوليس الربا هو الوسيلة الفضلى في أيامنا هذه لامتصاص أموال الشعوب، فليس الأفراد فقط عرضة للربا، بل الدول أيضاً، نجد تسلّط دولة على أخرى، فتنهش اقتصادها بعنوان الفوائد المترتبة على الديون، ومن الأمثلة على ذلك البرازيل، وهي من أغنى بلاد العالم من حيث الموارد، ترزح تحت ثقل الديون وفوائدها، حتى أن الناتج القومي يكاد لا يفي بالفوائد، عدا عن أصل الدين. وبالربا أصبح ٣٨٧

شخصاً فقط يملكون نصف ثروة العالم، والست مليارات الآخرون يملكون النصف الباقي، وسمّي اليهود في أيام العصر الروماني بإسفنجة الدولة، لأنهم الوحيدون الذين سمح لهم بالتعامل بالربا.

ولا نريد أن نغوص ونتوسع أكثر، ولكن من الواضح جداً أن الإسلام يرفض الظلم، عقيدة وتشريعاً ومسلكاً. بل هو جوهر الدين وروح الشريعة، وبها أصبح الإسلام رحمةً للعالمين:

﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾[1].

حتى أنه قيل إنّ الحاكم الكافر العادل خير من الحاكم المسلم الظالم، وأنه قد يدوم الكفر ولا يدوم الظلم.

لقد انتشر الإسلام في كل الأرض بهذه الروحية، واستقبل العالم الدين الجديد ليكون خلاص الإنسانية على يديه.

: الأنبياء، الآية ١٠٧.

موقف معاوية:

وإذا كان رفض الظلم هو العمود الفقري للدين الإسلامي، فكيف يمكن لمعاوية أن يتعايش معه، ويحكم المسلمين باسم خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والحال أنه يريد أن يعيش كما يحلو له، وكما تملي عليه أهواؤه ورغباته ونزواته ونزوات بني أميّة؟!

كان الحلّ عنده (كما ذكرنا سابقاً) هو في تحريف الدين، وضرب العمود الفقري له، لتصبح طاعة الظالمين واجبة شرعاً، والخضوع للحاكم الظالم عبادة، واعتراضه معصية؛ وبذلك يلبس الظلم الأموي لباس الدين، وينحرف الفكر الإسلامي العظيم ليصبح وسيلة لقمع الشعوب، بعد أن كان رحمة لها، ولْيذهب كل جهاد الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله) في سبيل المستضعفين، ونداءات القرآن لإنقاذهم لتذهب هباءً منثوراً، وكأن الرسول أرسلهُ الله فقط وجاهد فقط ليتسلّط بنو أميَّة على رقاب الناس، ولتصبح طاعتهم (على ظلمهم وفسقهم) من طاعة الله، وهذا ما لم يسبقه عليه سلطان في تاريخ البشرية.

وسائل نشر فكرة تشريع الخضوع للحاكم الظالم:

أ. اختراع الأحاديث.

ب. اختراع المذاهب أو استغلالها

ـ مذهب الإرجاء.

ـ مذهب الجبر.

ج. الشعراء.

د. الوعّاظ والخطباء.

هـ. كبت الأمويين وقمع الحريا

وسائل نشر فكرة تشريع الخضوع للحاكم الظالم

اتبع الأمويون طرقا وأساليب عديدة منها:

أ. اختراع الأحاديث:

اختراع الأحاديث على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآلـــه) في وجوب طاعة الحاكم الظالم مهما ظلم. وإليك هذا الحديث عن أم سـلمة عن النبي (صلى الله عليه وآله):

قال: إنه يســـتعمل عليكـم أمـراء، فتعرفـون وتنكـرون، فمـن كـره فقد برئ، ومن أنكـر فقـد سـلم، ولكن من رضي وتـابع؛ قـالوا: يـا رسـول الله ألا نقاتلـهم؟ قـال: لا ما صلـوا[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الجزء الأول في تفسير سورة البقرة، الآية ٣٠.

أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه، أخرجه أيضاً مسلم.

والمعنى: إذا فعل الأمير المنكر، فأنكر بقلبك، وأما قتال هذا الأمير فغير جائز، ما دام يصلّي، حتى لو ظلم وفسق وفجر وانتهك الأعراض والحرمات.

إذن، وبحسب هذا الحديث، نحن منهيون عن قتال هؤلاء الأمراء رغم بطشهم وظلمهم واغتصابهم أموال الناس وانتهاك أعراضهم! لماذا؟ لأنهم يصلّون؛ لمجرد الصلاة!!!

وغريب هذا الحديث، أليست الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ أليس هذا الحديث يناقض القرآن:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[1].

سواء كان الظالم مسلماً أم كافراً، فإن الآية مطلقة.

---

(١) هود، الآية ١١٣.

إنّ هذا الحديث مناقض تماماً لجوهر الدين الإسلامي وروح التشريع فيه، بل هو منافٍ للفطرة البشرية، هو مناقض للقرآن الكريم.

وفي حديث آخر عن حذيفة بن اليمان قال:

قلت يا رسول الله، إنّا كنّا بشرٌ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: نعم، قلت: وهل وراء هذا الشرّ خير؟ قال: نعم. قلت: فهل وراء ذلك الخير شرّ؟ قال: نعم. قلت: كيف يكون؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنّون بسنّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع للأمير وإن
ضرب ظهرك وأخذ مالك،
فاسمع وأطع[1].

ومن الواضح أن هذا الحديث مخترع مكذوب على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأنه كما قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام):

خطب النبي (صلى الله عليه
وآله) بمنى فقال: أيها الناس ما
جاءكم مني يوافق كتاب الله
فأنا قلته، وما جاءكم يخالف
كتاب الله فلم أقله[2].

---

(١) صحيح مسلم، ج٦، ص٢٠، طبعة دار الخلافة العلية، الطبعة الأولى في المطبعة العامرة ١٣٣٢. ومن أراد المزيد فلينظر في صحيح مسلم باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع، ص٢٠ و٢١ من نفس المصدر، وسنن البيهقي وغيرهما.

(٢) وسائل الشيعة، جزء ١٨، باب ٩ من أبواب صفات القاضي، حديث ١٥.

زخـرف، بـاطل، اضـرب بـه

عرض الجـدار[١].

كل حديث يخالف القرآن فهو حديث كاذب، وقـد ذم القـرآن الكريم هؤلاء:

﴿فمن أظلـم ممـن افـترى علـى الله

كذبا ليضل الناس بغـير علـم﴾[٢].

﴿ويقولون هـو مـن عنـد الله ومـا

هو مـن عنـد الله ويقولـون علـى

الله الكذب وهـم يعلمـون﴾[٣].

ويصف حالهم يوم القيامة:

﴿ويوم القيامة تـرى الذيـن كذبـوا

على الله وجوهـهم مسـودة﴾[٤].

---

(١) أوصاف للحديث الموضوع المختلق وردت في نفس الباب وفي كتب الحديث.

(٢) الأنعام، الآية ١٤٤.

(٣) آل عمران، الآية ٧٨.

(٤) الزمر، الآية ٦٠.

ومن كلام لسيد البلغاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام):

وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان، وصاحبان مصطحبان، في طريق

واحـد لا يؤويـها مـؤو، فالكتـاب وأهلـه في ذلـك الزمـان في النـاس وليسـا فيـهم، ومعـهم وليسـا معـهم، لأن الضلالـة لا توافـق الهدى وإن اجتمعـا.

فـاجتمع القـوم علـى الفرقـة، وافـترقوا عـن الجماعـة، كأنـهم أئمـة الكتـاب، وليـس الكتـاب إمامهم، فلم يبـق عندهـم منـه إلا اسمـه، ولا يعرفـون إلا خطـه وزبـره[1]، ومـن قبـل مـا مثلـوا بالصـالحين كـل مثلـة، وسـموا صدقـهم علـى الله مزيـة، وجعلـوا في الحسنة عقوبـة السـيئة...[2].

---

(١) أي كتابته.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٤٧.

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما مضمونه بأنه سيكثر من بعده الكذابة والوضاعون، أي الكذابون الذين يخترعون الأحاديث على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وينسبونها إليه، والرسول منها براء. وفسر الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الحائك، الملعون على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله:

إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله[1].

ولقد كذب على رسول الله في حياته، فكيف بعد وفاته، يقول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده حتى قام خطيبا، فقال: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار". وإنما أتاك

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٤٠.

بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولايتحرج، يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) رآه وسمع منه ولقف عنه، فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين فيما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده، فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار

بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة...[1].

والغاية من وضع الأحاديث، غاية دنيئة حقيرة تخدم المصالح والأهواء.

الغاية من وضع حديث أم سلمة وأمثاله:

وواضح جدا لمن يقرأ هذا الحديث أن الغاية من وضعه (أي اختراعه) وأمثاله عن أم سلمة (رض) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هي إخضاع الناس للأمير الظالم باسم رسول الله (صلى الله

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٣. وفي شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١١، ص٣٨، طبعة دار إحياء التراث العربي.

عليه وآله)، فلا يجوز قتاله طالما هو يصلي، حتى لو شرب الخمور، ونهب الأموال، وقتل النفس المحرمة!

فمثل يزيد بن معاوية (بحسب هذا الحديث) لا يجوز قتاله، رغم أنه يشرب الخمر المحرم في الإسلام، ويقتل النفس المحرمة، يستبيح المدينة المنورة، ويطلق العنان لجيشه في انتهاك نساء أهل المدينة المنورة (مدينة الرسول والأنصار) واغتصاب نسائهم، وسرقة أموالهم، وهدم بيوتهم، وإجبار أهلها على بيعة يزيد على أنهم أرقاء وعبيد له، وذلك بعد وقعة الحرة، كما ذكر أهل التاريخ. ورغم أنه هدم الكعبة المشرفة بالمنجنيق، ورغم، ورغم، ورغم...، ومع ذلك كله لا يجوز التصدي له! لماذا؟ لأنه يصلي!!

غريب هذا الحديث المكذوب على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وغيره، وغيره من الأحاديث الموضوعة المخترعة، التي استعملت لتدعيم حكم الظالمين، من بني أمية وغيرهم، ولتطويع الناس لظلمهم، لقد فرغت الإسلام من محتواه، وجردته من روحه، ليصبح مجرد وسيلة للتسلط.

إنها الجريمة الكبرى التي لم يسبق معاوية عليها أحد قط في العالمين.

وأثرت هذه التربية، فأطاع الناس حكامهم في كل ما يهوون ومـــا يشتهون، حتى في قتل النفوس.

كما أثرت هذه الأحاديث في فتاوى الفقهاء، باختصار ننقل كلمـة الباقلاني[1] في التمهيد:

قال الجمهور مـــن أهـــل الإثبـــات[2] وأصحـــاب الحديـــث: "لا ينخلـــــع الإمـــام بفســـقه وظلمـــه بغصـــــب الأمـــوال، وضـــرب الأبشـــــار[3]، وتناول النفـــوس المحرمـــة، وتضييـــع الحقـــوق، وتعطيـــل الحـــــدود"، ولا يجـــب وعظـــه وتخويفـــــه وتـــــرك طاعته في شيء مما يدعـــــو إليـــه مـــن

---

(١) من كبار الفقهاء والأصوليين من أبناء العامة.

(٢) أي الثبت والحجة، والجمهور أي المعظم.

(٣) الأبشار، جمع بشر.

معاصي الله، واحتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متضافرة عن النبي (صلّى الله عليه وآله) وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا واستأثروا بالأموال...[1].

ومن أساليب نشر هذه الفكرة:

ب. **اختراع المذاهب واستغلالها:**

المذاهب المسكّنة والمخدِّرة للناس، نذكر منها: الإرجاء والجبر:

ـ الإرجاء:

هو مذهب عقائدي يعتمد بشكل أساسي على إلغاء أهمية العمل، وبالنتيجة تبرير كل المعاصي.

---

(١) الغدير، للشيخ الأميني، ج٧، ص١٥٨، ناقلاً عن التمهيد للباقلاني، ص١٨٦.

منشأ كلمة الإرجاء:

اختلف في سبب تسمية القائلين بالإرجاء بالمرجئة، فبعضهم أرجعها إلى الاشتقاق من الإرجاء بمعنى التأخير كما في قوله تعالى:

﴿قالوا أرجه وأخاه﴾[1].

أي إمهله وأخره. وذلك لأنهم يؤخرون العمل عن الإيمان، أي يقولون، إن الإيمان إنما هو معرفة بالقلب وتصديق باللسان، ولا يضر مع الإيمان معصية. أو لأنهم أرجأوا الحكم في مرتكب الكبيرة إلى الله تعالى كما في قوله:

﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾[2].

أو هو مشتق من الرجاء بمعنى الثواب لأهل المعاصي لقولهم: "لا تضر مع الإيمان معصية"[3].

---

(١) الأعراف، الآية ١١١.

(٢) التوبة، الآية ١٠٠.

(٣) الفرق بين الفرق، ص١٥١، الملل والنحل، الجزء الأول، ص١٢٥.

زمن ظهوره:

واختلف في زمن ظهور الإرجاء، ولكن من الثابت ظهوره بمعناه المشهور في الفصل بين الإيمان والعمل في زمن معاوية بن أبي سفيان وأصحابه، الذي أظهر الاعتقاد بأن الإيمان لا يضر معه ذنب ومعصية، فتمادى في المعاصي غير مكترث بشيء. ففي شرح النهج[1]:

أول من قال بالإرجاء المحض معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، كانا يزعمان أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولذلك قال معاوية لمن قال له: حاربت من تعلم[2]، وارتكبت ما تعلم؟!

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٦، ص١٩٨.

(٢) أي علي بن أبي طالب وكبار الصحابة ممن شهدوا وقعة بدر.

فقال: وثقت بقوله تعالى: ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾[١][٢].

الغاية من الإرجاء:

وإنما قالوا بالإرجاء ونشروه بين الناس ليسوغوا للسلطة عبثها بأحكام الدين، ولعبها بكتاب الله وسنة نبيه، واستباحتها لحرمات المؤمنين، واستبدادها بحقوقهم، فهم مع ذلك كله مؤمنون لا يضر بإيمانهم شيء، ولا ينقص من إيمانهم عمل، وليس أحد في هذه الأمة أزيد منهم إيمانا.

وأصبح هذا القول في ظل السلطان الداعم له، عقيدة، لها رجال تبنوها، ودافعوا عنها، كان أبرزهم: يونس بن عوف النميري، وغسان الكوفي، وأبو ثوبان المرجيء، وبشر المريسي[٣].

---

(١) الزمر، الآية ٥٣.

(٢) وهذا ما نراه عند كثير من أهل عصرنا عندما يستنكر على العاصي، لم تعص الله ولم تفعل المحرمات؟ فيجيبك بأن الإيمان في القلب، والذنوب التي يرتكبها لا تضر مع وجود هذا الإيمان! وكأن العمل لم يعد مهما، وهذا الفكر ينتشر الفساد في الأرض، وتصبح ديار الإسلام ديار ظلم وخراب ومعاص ، مما أدى إلى انهيارها، مع انهيار العمل بأركان الإسلام وبجوهره وروحه.

(٣) الفرق بين الفرق، ص ١٥١إلى ١٥٣، والملل والنحل، الجزء الأول، ص١٢٥ــ١٢٨، وللتوسع انظر كتاب بحوث في الملل والنحل للشيخ جعفر سبحاني.

وغريب هذا الكلام، وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا نزلت الأحكام في الحدود والقصاص والديّات، ولماذا شرّع حدّ القتل والقذف والزنى والسرقة، ولماذا شُرّع تأديب فاعل المنكرات، ولماذا ورد التهديد بالنار والوعيد بجهنم على مرتكب الكبائر. نعم، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولكن بعد التوبة، فقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

التائب من الذنب كمن لا ذنب له[1].

أمّا المصرّ على المعاصي والمنكرات والمحرّمات فجزاؤه جهنّم.

أثر مذهب الإرجاء:

لقد ركّز مذهب الإرجاء الفكرة التي روّج لها بنو أميّة من أنه لا يجوز قتال الظالمين، بل ولا معارضتهم، فإنهم في الظاهر مسلمون،

---

(١) المحجّة البيضاء، ج٧، ص٧، طبع الأعلمي، بيروت، نقلاً عن ابن ماجة، تحت رقم ٤٢٥٠.

والمحرَّمات التي يرتكبونها من ظلم الناس والتسلّط على الأموال، وانتهاك الأعراض، لا تجوِّز الوقوف بوجههم لمنعهم عن ممارساتهم الرديئة، لماذا؟ لأنهم مؤمنون، ولا يضرّ مع الإيمان معصية مهما كانت تلك المعصية!

وأنّى لنا بمعرفة ما تكنُّه القلوب من إيمان أو غيره، وحينئذٍ يتظاهر الحاكم بالإيمان، ويفعل كل ما يحلو له، وهذا ما نراه في عصرنا الحاضر حيث يتظاهر الحاكم بالإيمان، ويتمظهر ببعض الشكليات، رياءً وغشاً لشعبه، فالمهم أن يحكم، ثم يفعل ما يشاء.

الإرجاء ثبّت حكم بني أميّة:

وبواسطة هذا المذهب أصبح حكّام بني أميّة في نظر الناس من أهل الجنّة، رغم كل شناعاتهم وفظائعهم، ولا يجوز لأحد حسابهم لأنهم مؤمنون، فإنه لا يضرّ مع الإيمان معصية، وحينئذٍ لا يجوز اعتراضهم مهما فعلوا!!

وهكذا انقلب الإسلام من دين جاء رحمة للإنسانية إلى دين هدفه تطويع الناس لحكّامهم، ولو كان الحكّام فَسَقَةً ظَلَمَةً من بني أميّة أو من غيرهم.

لقد خُدِّر الناس، وأصبح معاوية يحكم الناس عقائدياً بالإضافة إلى حكمهم بالقوة العسكرية.

ـ الجبر:

وملخصه أنّ الله تعالى خالق الأفعال ومريدها، وليس للناس الخِيَرَة من أمرهم، فالعبد عندما يفعل المحرَّمات يكون الله قد أراد ذلك، وبذلك يكون الإنسان مسلوب الاختيار، ومع ذلك يحاسبه الله عزّ وجل!!!

النتيجة:

لمّا أصبحت كل الأفعال بما فيها المحرَّمات هي بإرادة الله، لم يَعُد المكلّف مسؤولاً عن فعله، بل الله، ولذا لا يجوز إنكار المنكر، ولا يجوز الاستنكار على الحاكم، لأن الحاكم عندما يظلم ويغتصب أموال الناس، ويسفك الدماء المحرَّمة، إنما يفعل كل ذلك بإرادة الله، فالاستنكار عليه استنكار على الله، ورفض ظلمه معصية لله، والخروج عن طاعة الحاكم الظالم خروج عن طاعة الله.

وهكذا ينقلب الإسلام من دين يفتح العالم رحمة للعالمين، إلى دين يطوع الناس لظلم الحاكم، فأصبح لا يجوز في صلب العقيدة الإسلامية معصية الظالم، ورفض ظلمه ومقارعته، واعتراض تجاوزاته على رقاب الناس!!

لقد جعلوا الناس ينسون الآيات الكثيرة الواردة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[1].

ينسون الأحاديث الشريفة الكثيرة الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) في ذلك، لقد نسوا قول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله):

من رأى منكم منكرا فلينكره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع

---

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠.

فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه،

فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه

لذلك كاره[1].

هذا بالإضافة إلى النتائج الاجتماعية الخطيرة التي تنتجها الجبرية، إنها تؤدي إلى انتشار الفساد، واستفحال الظلم، وشياع المنكرات والمحرمات، لأن الإنسان يعتبر نفسه غير مسؤول عن الشيء، وحينئذ، لماذا العمل والجهاد والعبادة وفعل الخيرات؟!

استغلال الأمويين لمسألة القدر:

اتخذ الأمويون مسألة القدر أداة تبريرية لأعمالهم السيئة، وكانوا ينسبون وضعهم الراهن بما هو فيه من شتى ضروب العبث والفساد إلى القدر. قال أبو هلال العسكري:

إن معاوية أول من زعم أن الله

يريد أفعال العباد كلها[2].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ب٣ من أبواب الأمر والنهي.

(٢) الملل والنحل للشيخ جعفر السبحاني، ج١، ص٢٤٠، ناقلا عن الأوائل، ج٢، ص١٢٥.

وعن القاضي عبد الجبار عن الشيخ أبي الجبائي أنه قال:

إن أول من قال بالجبر وأظهره معاوية، وإنه أظهر أن ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه، عذرا فيما يأتيه، ويوهم أنه معيب، وأن الله جعله إماما وولاه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بني أمية[1].

ولأجل ذلك، عندما سألت أم المؤمنين عائشة معاوية عن سبب تنصيبه ولده يزيد خليفة على رقاب المسلمين، وهو يعلم أن يزيد شارب للخمور، مرتكب للفجور، ملعب القردة، طائش، عاص، ظالم، فاجر، يشتمل على كثير من الصفات المشينة، أجابها:

---

(١) عن الملل والنحل، للشيخ جعفر السبحاني، ج١، ص٢٦١.

إن أمر يزيد قضاء من القضاء،

وليس للعباد الخيرة من

أمرهم[١].

وبهذا أيضا أجاب معاوية عبد الله بن عمر عندما استفسر من معاوية عن سبب تنصيبه يزيد خليفة، ومتسلطا على الناس بقوله:

إني أحذرك أن تشق عصا

المسلمين، وتسعى في تفريق

ملئهم، وأن تسفك دماءهم،

وإن أمر يزيد قد كان قضاء من

القضاء، وليس للعباد خيرة من

أمرهم[٢].

نذكر هنا كأمثلة مقالات رؤوس من نفذ مذبحة كربلاء، كمقالة سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قتل الحسين بن علي (عليه السلام)،

---

(١) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، ج١، ص٢٠٥.

(٢) الإمامة والسياسة، لابن قتيبة، ج١، ص٢١٠.

ومقالة شمر بن ذي الجوشن الذي ذبح الحسين (عليه السلام) بيده، ومقالة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الخليفة الأموي الذي أمر بقتل الحسين (عليه السلام)، ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، ومقالة عبيد الله بن زياد، أمير الكوفة من قِبَل يزيد:

مقالة عمر بن سعد:

روى أبو مخنف:

... ثم إن ابن زياد نادى: معاشر العرب، مَنْ يأتيني برأس الحسين وله عندي ولاية الريّ عشر سنين، فقام إليه عمر بن سعد، وقال: أنا أيها الأمير، فقال له: أنت، امضِ وضيّق عليه المسالك وامنعه من شرب الماء، وأتني برأسه؛ فقال: سمعاً وطاعة. ثم عقد له راية على

ستة آلاف فارس، وأمر بالمسير
إلى الحسين؛ فخرج من عند ابن
زياد ودخل منزله، فدخل عليه
المهاجرون والأنصار وقالوا له:
تخرج لحرب الحسين وأبوك
سادس الإسلام؟! فقال: لست
أفعل ذلك؛ وجعل يفكّر في
ملك الريّ وحرب الحسين
(عليه السلام)؛ فاختار ملك
الري، وأنشأ يقول:

والله ما أدري وإنّي لحائرٌ
أفكّر في أمري على خطرين
أأترك ملك الريّ والريّ مُنْيَتي
أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمّي والحوادث جمّة
ولكن ملك الريّ قُرّة عيني

وأنّ إله العرش يغفر زلّتي

ولو كنتُ فيها أظلم الثقلين

ألا إنما الدنيا بخير معجل

وما عاقل باع الوجود بدين

يقولون أنّ الله خالق جنّة

ونارٍ وتعذيب وغلّ يدين

فإن صدقوا في ما يقولون إنني

أتوب إلى الرحمن توبة مين[1]

وإن كذبوا فزنا بريّ عظيمة

وملك عظيم دائم الخجلين[2][3]

وبعد قتل الحسين (عليه السلام) اعترضه عبد الله بن مطيع العدوي بقوله:

---

(١) المين: الكذب.

(٢) الخَجَلة: بيت مزيّن بالأثاث، والخَجَل أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح.

(٣) أسرار الشهادات للدربندي، ج٢، ص١٧٦، طبع شركة المصطفى للخدمات الثقافية.

اخترت همـــدان والـــريّ علـــى قتـــل ابن عمّـــك؟! فقـــال عمـــر: كـــانت أمور قضيـــت مـــن الســـماء، وقـــد أعـــذرت إلى ابـــن عمّـــي قبـــل الوقعة، فـــأبى إلاّ مـــا أبى[1].

وبهذه الكلمات برَّر عمر بن سعد قتله للحسين (عليـــه الســـلام)، وكان قائداً للجيش، وتأمل ما أخطر هذا الفكر الذي جعلوه من صلـــب العقيدة الإسلامية، لقد استطاعوا مسخ الإسلام وجعله مجرد أداة لتـــبرير أفعال الحاكم الشنيعة.

بل مسخوا الإنسان بعد أن سلبوا حريته منه، وسيأتي شرح هـــذه النقطة.

مقالة شمر بن ذي الجوشن:

شمر بن ذي الجوشن كان أحد قوّاد الجيش الذي قتل الحسين (عليـه السلام)، وهو الذي أجهز عليه وذبحه بيده. وقد نقل الأميني، صـــاحب

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٥، ص١١٣، دار الكتب العلمية.

كتاب "الغدير" أن شمر بن ذي الجوشن كان يدعو الله تعالى في المسجد ويقول:

اللهم إنك شريف تحبّ الشرف، وإنك تعلم أني شريف فاغفر لي. قلت[1] كيف يغفر الله لك، وقد أعنتَ على قتل ابن رسول الله؟ قال: ويحك، فكيف نصنع؟ إن أمراءنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنّا شراً من هذه الحمر الشقاة[2][3].

وفي لفظٍ آخر:

---

(١) والقائل أبو إسحاق الراوي لهذا الخبر.

(٢) الحمر الشقاة: مقصوده: الكفّار الأشقياء.

(٣) الغدير، ج٧، ص١٧٠، نقلاً عن تاريخ ابن عساكر، ج٦، ص٣٣٨، وميزان الاعتدال للذهبي، ج١، ص٤٤٩.

اللهم اغفر لي فإني كريم لم تلدني اللئام. فقلت له: إنك لسيئ الرأي والفكر، تسارع إلى قتل ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتدعو بهذا الدعاء! فقال: إليك عنّي، فلو كنّا كما تقول أنت وأصحابك لكنّا شراً من الحُمُر في الشعاب.

أي إذا لم نطع الأمراء أصبحنا كالبهائم والدوابّ، ولسنا ببشر كي نكون موضوعاً للتكليف، ولذا يجبُ أن نطيعهم كي نكون أهلاً لعبادة الله عزّ وجل.

تصوروا أن شمراً يذبح الحسين (عليه السلام) بيده، وهو يعلم أنه ابن بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وسيد شباب أهل الجنّة، وأفضل أهل زمانه، نزل القرآن بعصمته، ولا شك أن في قتله غضب الله ورسوله، ومع كل هذا وغيره، لا بدّ وأن يطيع الأمراء والسلاطين

والحكّام حتى في قتل عظيم طاهر مثل الحسين (عليه السلام)، لأن مخالفتهم مخالفة لله وخروج عن الدين!!

لقد نسيَ قول الله جلّ شأنه:

﴿يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا * وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا * ربّنا آتهم ضعفيَن من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾[1].

بل أي دين يقبل هذا المنطق، وأي عقل؟! لكن الأمويين استطاعوا إدخاله في صميم العقيدة، وشوّهوا الإسلام. إنها المدرسة الأموية التي مسخت دين الله وجعلته عقيدة تخدم مآربهم وأهواءهم بعد أن جاء به محمد (صلّى الله عليه وآله) رحمة للعالمين.

---

(١) الأحزاب، آية ٦٦ــ٦٨.

مقالة عبيد الله بن زياد:

عبيد الله بن زياد بن سمية هو والي الكوفة من قِبَل يزيد، وهو الذي أرسل الجيش وأمر عمر بن سعد أن يستعجل في قتل الحسين، ولما دخلوا برأس الحسين (عليه السلام) والسبايا على ابن زياد:

عن حميد بن مسلم قال: إني لقائم عند ابن زياد حين عُرِض عليه عليُّ بن الحسين، فقال له: ما اسمك؟ قال أنا عليّ بن الحسين؛ قال: أَوَلم يقتل الله عليّ بن الحسين؟! فسكت. فقال ابن زياد: ما لك لا تتكلّم؟ قال: قد كان لي أخٌ يقال له أيضاً عليّ فقتله الناس. قال: إن الله قد قتله؛ قال: فسكت عليٌّ؛ فقال له: ما لك لا تتكلّم؟ قال: ﴿الله

يتوفى الأنفس حين موتها﴾[١]،

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا

بإذن الله﴾[٢]. فاستشاط ابن

زياد غيظا... إلى آخر

القصة[٣].

انظر كيف ركز ابن زياد على أن الله هو الذي قتل عليا بن الحسين، (أي علي الأكبر الذي استشهد في كربلاء) وانظر كيف التفت لإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى غرضه، وأنه يريد تثبيت فكرة لإرادة الإلهية في ملك بني أمية، فأجابه:

قد كان لي أخ يقال له أيضا

علي فقتله الناس.

---

١) الزمر: الآية ٤٢.

٢) آل عمران: الآية ٤٥.

٣) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٣٥.

مقالة يزيد بن معاوية:

وانظر إلى يزيد بن معاوية، سلطان المسلمين آنذاك، والجالس على كرسي الخلافة، وقد أُدْخِلوا رأس الحسين (عليه السلام) مخاطباً الناس متمثّلاً الحسين(عليه السلام):

أتدرون من أين أتيّ هذا؟ (يعني الحسين (عليه السلام)) قال: أبي عليّ خير من أبيه، وأمي خير من أمّه، وجدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خير من جدّه، وأنا خير منه، وأحقّ بهذا الأمر منه.

ثم استمر يزيد مجيباً: فأما قوله: "أبوه خير من أبي"؛ فقد حاجّ أبي أباه وعلم الناس أيهما حكم له؛ وأمّا قوله: "أمّي خير من

أمّه" فلعمري فاطمة ابنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خير من أمّي؛ وأمّا قوله "جدّي خير من جدّه"، فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عِدلاً، ولا نِدّاً، ولكنه إنما أُتِيَ من قِبَل فقهه، ولم يقرأ: ﴿اللهم مالك الملك تؤتي الملك مَنْ تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ مَنْ تشاء وتذلّ مَنْ تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾[1][2].

انظر إلى كلمة "أُتِيَ من قِبَل فقهه"، لقد جعل يزيد من الفقه مُلْك الملوك، وتسلُّط السلاطين، ونزع عن الحسين (عليه السلام) سيد شباب

---

(١) آل عمران، الآية ٢٦.

(٢) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٦١، الجزء٣، ص٣٤٠.

أهل الجنة، والذي تربى في حجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) صفة الفقيه، واعتبر أن قوله تعالى:

﴿يؤتي الملك من يشاء﴾.

اعتبره تمليكا من الله للملوك.

وليت شعري، هل أراد الله تمليك فرعون وهامان والنمرود ونيرون على رقاب الناس، وإذا أراد تمليكهم، فلماذا طلب من الأنبياء كإبراهيم وموسى (عليه السلام) الثورة ضدهم، والصراخ بوجوههم طالبين إحقاق الحق وإنصاف المظلومين؟!

لقد أراد يزيد بقوله هذا إلباس ملكه لباس الإرادة الإلهية، كما سعى أبوه لذلك عندما قال:

إن أمر يزيد قضاء من القضاء،

وليس للعباد الخيرة من أمرهم[1].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ج١، ص٢١٠، طبع قم، مطبعة أمير.

وبهذا لا يجوز اعتراضه، لأن الاعتراض حينئذٍ ضد إرادة الله عزّ وجل، ومعنى ذلك أن اعتراض النبيّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) على النمرود كان اعتراضاً على الإرادة الإلهية، واعتراض النبي موسى (عليه السلام) على فرعون كذلك، وهل يعقل ذلك؟! وهل يصدِّق ذو لبّ؟!

لقد استطاع معاوية إدخال هذا المفهوم في صلب العقيدة الإسلامية، مما حذَّر الناس، فركنوا إلى الظالمين بعد أن قال الله تعالى:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[1].

الفرق بين المشيئة والإرادة:

ولا بأس (باختصار) بالإشارة إلى معنى المشيئة، والفرق بينها وبين الإرادة لرفع الإلتباس.

ولنمثّل ذلك في رجل رمى بنفسه من مكان شاهق ليقع على الصخور، فإنه يُقتل.

---

(١) سورة هود، آية ١١٣.

فهل الله قتله، أم هو قتل نفسه؟

إن الله شاء أن كل من رمى بنفسه من شاهق ليقع على جسم صلب فإنه سيتحطم، ولكن لم يُرِد قتله، بل إرادة القتل هي من الرجل الذي رمى بنفسه، ولهذا تُحاسِب الإنسانية منذ فجر التاريخ كل إنسان على أفعاله، خيرها وشرّها، فتقاصص المجرم، وتحكم على الظالم، لأن المرتكز في ذهن كل بشر وفي فطرته أن الإنسان مريد لأفعاله، والوجدان أقوى دليل.

وهنا، مشيئة الله في المُلْك أنّ له مقدّمات ووسائل وطرق من تهيئة قوة إلى عتاد إلى مَكْر إلى اقتناص فرص مثلاً، إلى غير ذلك، فمن سلك هذه الطرق وتوسَّل بهذه الوسائل وصل إلى المُلْك، وأصبح ملكاً، تلك هي مشيئة الله.

فالمشيئة هي القوانين الطبيعية والسنن الكونية، وهي مأخوذة على نحو القضايا الشرطية، مثلاً: "كل مَنْ سار على الدرب وصل"، فالسير على الدرب هو الشرط، والوصول هو الجزاء، وكلُّ مَنْ فَعَل الشرط، وصل إلى الجزاء والنتيجة.

بعكس الإرادة، فهي مبادرة وفعل، وليس قضية شرطية.

ومن هناك يتضح أن الله جل شأنه وتعالت قدرته، لم يرد ملوك الدنيا ملوكا لها، بل شاء أن من ركب الوسائل المقدرة وجعلها وسيلة وصل إلى الملك.

وهذا باختصار شديد وتوضيح بسيط تعرضنا له فقط لرفع الوهم الذي زرعه بنو أمية في الناس.

ج. الشعراء:

وبدأ الشعراء يزرعون الفكر الأموي والمدرسة الأموية، ويروجون لها في أذهان الناس. ونعلم كم للشعر يومئذ من أثر[1]، فهم الوسيلة الإعلامية الرئيسية في تلك الأيام، وإذا كان في القبيلة شاعر اعتزت به وافتخرت، وصار لها شأن، وكم أدى الشعر إلى رفعة قوم أو ذلتهم، أو

---

(١) يروى أن بني أنف الناقة كانوا عشيرة من أدون العشائر، ومن أقل الناس قدرا ومستوى على الصعيد الإجتماعي، حتى ظهر فيهم شاعر، فراح يمدحهم:

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فارتفع مستواهم واحترامهم عند العرب! فانظر كم كان للشعر من أثر.

أدى إلى تشويه سمعة أو إلى فتنة وقتال، أو حتى تسويق لسلعة أو ترويج لفكرة[١][٢].

---

(١) يقال أن تاجرا جاء إلى الشام ومعه أحمرة ــ جمع حمار وهو قماش تضعه المرأة على رأسها تغطيه ــ يريد أن يبيعها، فباعها جميعا وبقي كمية كبيرة من الأحمرة السوداء لم يشتر أحد منها شيئا، فاحتار بأمره، فرآه أحد الزهاد الحديثي العهد بالنسك والزهد والعبادة، حيث كان قبل ذلك من أهل اللهو والمجون والخلاعة، فأخبره بأمره، فقال له الزاهد: لا عليك، فكان أن عاد الزاهد إلى مجونه، فاستغرب الناس ذلك، فقال:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ماذا فعلت بزاهد متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه ... حين وقفت له بباب المسجد

ردي عليه صلاته وصيامه ... لا تقتليه بحق دين محمد

إلى آخر القصيدة. فكان أن استلطفت النساء الخمار الأسود، فراج سوقه وبيعت كل الأحمرة السوداء التي كانت مع التاجر، كل ذلك نتيجة بيت من شعر. وهذا ما نراه في أيامنا هذه من الوسائل التسويقية من دور العرض والأزياء وأنواع الدعايات التلفزيونية وغيرها. فانظر كم كان للشعر من تأثير.

(٢) تماما كما نرى في وسائل الإعلام في أيامنا هذه، حيث يصرف على فيلم سينمائي مئات الملايين من الدولارات كي يشوه صورة شخص أو يمدحه، أو يشوه فكرة! ألا ترى كم في الأفلام السينمائية والتلفزيونية من أثر كبير في تشويه الحقائق، كتشويه نظرة الإسلام للمرأة، وأنه ظلمها، مثل فيلم "أبدا بدون ابنتي" الذي قلب الحقيقة وصور المرأة مضطهدة مظلومة، مع العلم أن الواقع بعكس ذلك، وأن كثيرا من الأفلام العربية أو الأجنبية تركز على تشويه سمعة الإسلام، أو زرع قيم سلبية في الأمة كزرع الأنانية وعدم اكتراث الإنسان إلا بنفسه وعدم معونته للآخرين، وإبعاد الناس عن الله وعن تعاليم الأنبياء وعن =

انظر إلى الشاعر الأخطل التغلبي كيف يمدح بني أمية في قصيدته "خف القطين" فيقول في مدح عبد الملك بن مروان:

إلى أمرئ لا تعدينا نوافله

أظفره الله فليهنأ له الظفر(١)

= الغيب، ليزرع مكانها النفسية المادية المحضة، فإنك لا تكاد تسمع بذكر الله ولا اليوم الآخر أصلا في هذه الأفلام، ولذا تجد نسبة الذين يتعاطون الحبوب المهدئة للأعصاب تزداد يوما بعد يوم، ونسبة طلاق النساء تزيد وغير ذلك، ومن أهم الأسباب، بعد الناس عن الله وعن القيم، وعن نقاء الروح.

ذلك أن الإنسان مكون من جسد وروح، فإذا أعطيت حاجات الروح فقط حصلت حالة من الاضطراب وعدم التوازن، وكذلك إذا أعطيت حاجات البدن فقط من أكل وشرب ونوم وجنس وغيرها، حصلت أيضا حالة اضطراب وعدم توازن، وعدم التوازن هذا عند البشر تؤدي إلى اضطرابات وأمراض نفسية وعصبية ينتج ما ذكرنا من حالات الاغتصاب وكثرة الطلاق وتناول المهدئات وغير ذلك، ووسائل الإعلام تتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية، ذلك أنها في أيامنا هذه المسؤول الأول عن توجيه الناس وتربيتهم..

(١) لا تعدينا: لا تتجاوزنا. نوافله: عطاياه. والمعنى: وصلت بي ناقتي إلى إنسان لم تفتنا عطاياه، وقد نصره الله على أعدائه، فهنيئا له هذا الظفر. انظر كيف ينشر هذا البيت فكرة أن انتصار الأمويين هو من عند الله، فالله يريدهم ملوكا على الناس، وقلنا سابقا إن النصر بمشيئة الله، أي أن الله شاء أن من يفعل المقدمات ويرتكبها انتصر، كاقتضاء وجود العلة لوجود المعلول، والسبب للمسبب، لا أن الله يريد نصر الظالم الفاجر وتمليكه على رقاب الناس.

الخائض الغمر، والميمـــون طـــائره

خليفـــة الله يستـــسقى بـــه المطـــر[١]

أعطاهم الله جدا ينصـــرون بـــه

لا جـــد إلا صغـــير بعـــد محتقـــر[٢]

انظر إلى هذه الأبيات كيف تعكس هذه الفكرة: إن الخلافة هي من الله لبني أمية؟! وإن النصر منه لهم عطية وهبة! وأنه أراد الملك لهم!

وربما يقال: إن الشعر لا يتبع الأسلوب العلمي في الدقة والتحقيـــق والتدقيق، فإنه لا ملامة على شاعر.

---

(١) الغمر: الماء الكثير، والخائض الغمر كناية عن الذي يقتحـــم الشـــدائد والصعوبـــات في المعارك، الميمون طائره: كناية عن أن الخير حليفه والحظ السعيد ملازمه، يستسقى به المطر: أي يقدمه الناس أمامهم في صلاة الإستسقاء وذلك عند الجفاف الشديد، وذلك كناية عن إيمانه العميق وصفائه وقربه من الله عز وجل. ومعنى البيـــت: أن عبـــد الملـــك يقتحـــم الصعوبات ويتغلب عليها والخير والنصر حليفه، وهو خليفة الله علـــى الأرض، وتقبـــل شفاعته عند الله فيستجيب الله لدعاء الناس. ولاحظ كيف يتضمن هذا البيـــت نشر فكرة أن الملك من عند الله ــ بالمعنى الذي ذكرناه في المدرسة الأموية ــ فطاعته حتى لو ظلـــم من طاعة الله، وعصيانه من عصيان الله.

(٢) جدا: حظا. والمعنى: أعطاهم الله حظا ــ والمقصود حقهم الإلهي بالخلافة والملك، فـــهو إرادة الله وعطيته لبني أمية ــ وهذا الحظ تضاءلت دونه كل الحظوظ.

ونجيب، صحيح أنه شعر، والشعر بطبيعته لا يعتمد على الدقة، إلا نه يؤثر كثيرا في الناس، فهو يعتمد الأسلوب الخطابي الذي يعتمد إلى حد كبير على اللعب على الأوهام، ولذا يستعمل المحسنات البديعية كالترصيع والجناس والطباق، وغير ذلك مما له أثر في إضفاء حسن أو قبح لى الفكرة أو الشخص، والخطاب لا يعتمد على الأدلة العقلية البراهين، لأنه لا يريد الاستدلال، بل يرمي إلى زرع مفاهيم معينة في لنفوس، مما يؤدي بالتكرار الكثير إلى ترسيخ الفكرة، وجعل الإنسان ينطلق في سلوكه من خلفيتها من دون أن يشعر.

قوة الوهم في سلوك البشر:

إن معظم سلوك الناس لا تقرره عقولهم، بل أوهامهم، وأعطي مثالا على ذلك:

إن أكثر الناس لا يدخلون المقابر ليلا، وذلك لكثرة ما يتخيلونه من شباح وأرواح، رغم أن عقولهم تقول لهم: لا شيء من هذا، بل المقبرة في لليل كالمقبرة في النهار.

والسبب في عدم دخولهم المقابر ليلا أن القوة الواهمة تتغلب عند الإنسان على القوة العاقلة، ولذلك يتحرك المرء بحسب التربية والإعلام والدعايات في كل أمور حياته حتى الشخصية منها، كالطعام واللباس والنظرة إلى الأمور وإلى الشعوب، لأن وسائل الإعلام تعتمد على زرع أفكار بسيطة ساذجة، إلا أنها صلبة وقوية في اللاوعي، بحيث تكون ردود فعل الإنسان الأولى هي من خلالها وبخلفيتها.

ألا ترى أن دور الأزياء وطريقة العرض والتسويق استطاعت أن تتحكم حتى بالذوق الشخصي للفرد، فإذا أرادوا تسويق عجلة سيارة (مثلا) جعلوا في الدعايات الإعلانية العجلة مع امرأة فاتنة جميلة، وبالتكرار تقترن العجلة بصورة تلك الفاتنة في ذهن المشاهد، فتكتسي العجلة جمالا نفسيا في ردة الفعل الأولى، ولكن لو تأمل المشاهد وأعمل عقله يستطيع الفصل بينهما، إذ ما العلاقة بين جودة العجلة وصورة الفاتنة؟!

إلا أن معظم الناس يتحركون بردة الفعل الأولى، ولذا بفعل الدعايات، بعد أن كان زي ما قبيحا، أصبح حسنا، لأنه على "الموضة"[١].

إن أقبح الأشياء يمكن أن يصبح مقبولا بل حسنا إذا تسلطت عليه وسائل الإعلام لتحسينه.

لقد سلطت وسائل إعلام بني أمية على فكرة قبول ظلم الحاكم، وجعل طاعته من طاعة الله، والقيام ضده معصية لله، وكم هي قبيحة هذه الفكرة ومرفوضة عقلا، تأباها الفطرة البشرية، ومع ذلك استطاعت وسائل الإعلام الأموية إدخالها إلى أوهام الناس فحسنتها وجعلتها من صميم العقيدة، إن هذا مصداق وتطبيق واضح لقوله تعالى على لسان الشيطان:

﴿ولأضلنهم ولأمنيهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله...﴾[٢].

---

(١) وأذكر هنا كيف أن أشنع الأشياء على المرأة هو حلق شعرها بالموسى، وكان عقابا وقصاصا، وإذا ببعض نساء عصرنا بدأن يحلقن رؤوسهن لأنه عرض في دور الأزياء وأصبح "موضة" أو "صرعة"، فاستحسنت وأصبح عند البعض جمالا.

(٢) النساء، الآية ١١٩.

تفسير الآية:

إن المراد من ﴿**خلق الله**﴾ هو الفطرة البشرية، أي جوهر الدين وروح الشريعة، لأنّ عمل الشيطان وديدنه هو غواية الناس، وإبعادهم عن الحق وإيقاعهم في المعصية، وبالنتيجة تغيير دين الله.

وليس المراد منها خلق الله بمعنى المخلوقات المادية، فإن تغيير لون الإنسان وشكله، أو شكل حيوان، أو شكل نبات، أو شكل جبل، أو سهل، ليست غاية للشيطان، لأن غايته هي غواية البشر وإغرائهم بالمعصية. ألا ترى أنه يجوز لقاح شجرة التفاح بالإجاص، فتحمل إجاصاً بدل التفاح، أوليس هذا بتغيير خلق الله بالمعنى المادي العضوي، وهو ليس محرَّماً قطعاً، بل إنّ إنساناً مؤمناً مقطوعَ اليد مثلاً، أحبُّ إلى الله من إنسان سويِّ الخلقة فاسق.

والذي يؤيِّد هذا المعنى قوله تعالى قبل ذلك على لسان الشيطان:

﴿ولأضلنّهم ولأمنّينّهم ولآمرنّهم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام...﴾[1].

---

(١) النساء، الآية ١١٩.

ولَيُبَتِّكُنَّ أي يقطّعنَّ، وهذا ما كان يفعله الجاهليون (أيّ الكفّار) بالأضاحي، وكأنه يريد أن يقول: لأعيدَنَّ الناس إلى الكفر، وهذا المعنى يتناسب مع ما ذكرناه من تفسير **«خلق الله»**.

د. الوعّاظ والخطباء:

نذكر منهم الحسن البصري، فقد اشتهر بالزهد والعبادة، وخطبه في الوعظ والزهد وذم الدنيا والترغيب بالآخرة مشهورة، راقية، بليغة فصيحة، قوية في ألفاظها، دقيقة في معانيها، عميقة في أغوارها.

ثم إنه كان يذم بني أمية، ويذكر مثالبهم وشناعاتهم وسيئاتهم، وبذلك يثق به الناس وينجذبون إليه؛ فهو يصور الواقع، ويقول ما يريد الناس قوله ويخافون قوله، وهذا أمر يجذب الناس إليه؛ إلا أنه بعد ذم بني أمية ينهى الناس عن أي تحرك ضدهم!! لماذا؟ لأن الله أرادهم ملوكا على

الناس، وإن التحرّك ضدهم يعني التحرّك ضد إرادة الله، وهي معصية كبيرة، بل لا يقدر الناس على النيل منهم، ولذا، فليس للناس إلاّ الصبر على ظلمهم وإيذائهم وتعذيبهم لهم!

انظر إلى موقف الحسن البصري عندما دعا الناس إلى التفرُّق عن أعداء بني أميّة:

.....فقال له ناس ممن سمع قوله: والله لكأنك يا أبا سعيد راضٍ عن أهل الشام؟! فقال: أنا راضٍ عن أهل الشام؟ قبّحهم الله وبرّحهم! أليس هم الذين أحلّوا حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ! قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدين! لا

يتناهون عن انتهاك حرمة! ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام، فهدموا الكعبة، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها، عليهم لعنة الله وسوء الدار![١].

ثم يفتي الحسن البصري:

أنه تجب طاعة ملوك بني أميَّة وإن جاروا، وإن ظلموا، والله لَمَا يصلح بهم أكثر مما يفسدون[٢].

تأمل ما هذه الأفكار، وكيف تتناقض مع جوهر الدين وروح الشريعة.

---

(١) تاريخ محمد بن جرير الطبري، أحداث سنة ١٠١، ج٤، ص٨٠.

(٢) فلسفة الإمامة والقيادة، للريشهري، ص٦١، ناقلاً عن كتاب الحكومة في الإسلام.

هـ. كبت الأمويين وقمع الحريات:

وكان كل مَنْ يقف ضد هذه الأفكار يُقْمَع، فإن بني أميَّة أرادوا تركيزها في نفوس الناس، وأدركوا أنّ أيّ اعتراض لها يوهنها ويضعفها لكونها هي بذاتها ضعيفة واهية، فكان لا بدّ من كمّ الأفواه وسجن العقول، لكي يتسنّى لأفكارهم العبور بلا معارض.

ما فعل بمحمد بن إسحاق وبالحسن:

كان الذي يرفض فكرة الجبر يُجلَد ويُضْرب، فقد جُلِد محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية المعروفة، لأنه خالف القول بالجبر والقدر.

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب عن الدراوردي:

وجُلِدَ ابن إسحاق، يعني في القدر[1].

وروى ابن سعد في طبقاته عن أيوب قال:

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٥، ص٣٠.

نازلت الحسن في القَـــدَر غـــير مـــرَّة

حتى خوَّفته مـــن الســـلطان، فقـــال:

لا أعود بعد اليـــوم[1].

وللأسف لقد سَنَّ بنو أميّة سُنَّةً سيئة لسلاطين المسلمين في قمـــع مخالفيهم بالرأي، ونسوا حرية الرأي والفكر في الإسلام، فبدل أن يكـــون الأمير هو الذي يصون الحرية ويدافع عنها كما هو الحال في الإســـلام، أصبح قامعاً لها.

لقد نسوا قوله تعالى:

﴿وجادلهم بالتي هـــي أحســـن﴾.

وبادروا إلى قمع كل مَنْ يخالفهم، إن قمع الحريّة مـــن الســـمات الأساسية للمدرسة الأموية، بينما نجد أن إعطاء الحرية حقها وفضاءهـــا لتنطلق فيه هو من السمات الأساسية لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

---

(١) طبقات ابن سعد، ج٧، ص١٢٣.

انظر إلى الأئمة (عليهم السلام) كيف يُناظرون مخالفيهم في الدين أو في الرأي، و لم يلجأ أحد منهم قط إلى إرسال أتباعه يقتلون ويؤذون، انظر إلى جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) كيف كان ينهى عن استعمال الكلام الغليظ، بل دعا أصحابه ليناقشوا الرأي بكل هدوء، لقد ناقش هو نفسه ابن أبي العوجاء الزنديق الشهير في المسجد الحرام قرب الكعبة المشرَّفة، وانظر إلى المناظرة التي جرت في بلاط المأمون الخليفة العباسي، بين الإمام الرضى (عليه السلام) من جهة، ورؤساء الملل والنحل وكبار أصحاب المقالات والمتكلمين من جهة أخرى، وفيها إحتجّ الإمام (عليه السلام) على أهل الملل كلٌّ بكتابه وعقيدته، فأهل التوراة بتوارتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وهكذا..

حتى الحسين (عليه السلام) حاور زهير بن القين وجعله ينقلب من معادٍ إلى ناصر، وطلب حوار أهل الكوفة إلاّ أنّ أزلام بني أميّة خافوا انقلاب الناس عليهم، فقطعوا الحوار وبادروا إلى الحرب.

اب الأحنف بن قيس لمعاوية:

الأحنف بن قيس كان من زعماء العراق الكبار، وقد ذكر ابن سعد طبقاته:

ذكروا عند معاوية شيئاً،
فتكلّموا والأحنف ساكت،
فقال معاوية: تكلّم يا أبا
بحر، فقال (أي الأحنف):
أخاف الله إن كذبت، وأخافك
إن صدقت[1].

هذا غيض من فيض من قمع الأمويين وكبتهم، لكي تستمر وسائل إعلامهم في بثّ فكرة الإرادة الإلهية في تنصيب الحاكم، وعدم جواز سدّي له، ولو كان ظالماً، ولتستمرَّ هذه الأبواق من دون معارض واجز، ولتنتشر بين الناس، فتُخدِّر العقول، وتُطَوِّع النفوس، وتحني اب لكل حاكم ظالم، وليس لبني أميّة فقط، لأن الفكرة عامة تشمل

طبقات ابن سعد، ج٧، ص٦٦.

كل الظَّلَمَة، وإن قصد بنو أميّة خدمة ملكهم هم دون غيرهم، وكأنهم كانوا يظنون أنفسهم خالدين.

نتائج هذه المدرسة الأموية:

كان لمعاوية ما توخّاه من بثّ فكرة عدم جواز التصدّي للحاكم الظالم شرعاً، فتخدَّر الناس، وأطاعوا بني أميّة رغم كل فسقهم وجورهم، لأنه أدخل في صميم العقيدة أن طاعتهم من طاعة الله، وخلافهم مخالفة لله.

لقد خُدِّر الناس، وذلّوا، وخَنَعُوا، سُلِبَتْ إرادتهم، وحريتهم، وأموالهم، ومع ذلك كانوا ساكتين، لماذا؟ لأنه لا يجوز أن تقول للحاكم الظالم: قف عند حدّك.

بهذا طُوِّع الناس، فبالإضافة إلى القوة العسكرية، قُمِع الناس بإرادتهم، باسم الشرع، باسم الإسلام، يا للخبث!

وهكذا انقلب الإسلام من دين يحرِّر الشعوب إلى دين يُذِلُّهم ويستعبدهم، أصبح وسيلة للإذلال والقهر باسم الإرادة الإلهية، لقد أصبح بهذا المعنى أفيوناً وأخطر من الأفيون.

ولشدة تأثر الناس بالأبواق الإعلامية، لم تعد تنفع الخطابات والنداءات، لم يعد ينفع الكلام، وكان لا بد من وسيلة أخرى، كان لا بد من صفعة قوية للأمة تعيدها إلى رشدها، وتضع الأمور في نصابها الحقيقي، وتعيد إلى الإسلام أصالته وروحه، نعمة وحرية ورحمة للعالمين.

معاوية وحقيقة موقفه من الإسلام:

لقد استطاع معاوية قلب الحقيقة، وتغيير روح الإسلام وجوهره بما يناسب أهواءه ونوازعه، لقد أصبح سلطانا للمسلمين بعد أن حارب الإسلام قرابة واحد وعشرين عاما، حربا شعواء، يؤلب كل حاقد على الدين وكل كافر برب العالمين، مع أمه هند آكلة الأكباد (لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب (رض) بعد استشهاده في معركة أحد) ومع أبيه أبي سفيان بن حرب.

دخل معاوية الإسلام بعد فتح مكة بعد أن أسقط ما في يده، وبالدهاء والخداع، توصل إلى حكم المسلمين باسم الإسلام، لكنه لم يأخذ منه إلا ما يناسبه، فكان يقول:

المال مال الله وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما أعطيت فبالتفضل مني[١].

روي في مروج الذهب للمسعودي[٢]:

قال المطرف بن مغيرة:

وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده، ثم ينصرف إلي، فيذكر معاوية، ويذكر عقله، ويعجب بما يرى منه. إذ جاء ذات ليلة، فأمسك عن العشاء فرأيته مغتما، فانتظرته ساعة، وظننت

---

(١) انظر ص٢٠.

(٢) مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص٣٤١. وشرح النهج لابن أبي الحديد، ج٥، ص١٣٠.

أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتما منذ الليلة؟ قال: يا بني، إني جئتك من عند أخبث الناس! قلت له: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي: هيهات، هيهات، ملك أخو تيم (أي أبا بكر) فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: ابو بكر، ثم

ملك أخـــو عـــدي (أي عمـــر بـــن الخطـــاب) فاجتـــهد وشَمّـــر عشـــر ســـنين، فـــوالله مـــا غـــدا أن هلـــك فهلك ذكـــره إلاّ أن يقـــول قـــائل: عمـــر؛ ثم ملـــك أخونـــا عثمـــان، فملـــك رجـــل لم يكـــن في مثـــل نســـبه، فعمـــل مـــا عمـــل، وعُمِـــل بـــه، فـــوالله مـــا غـــدا أن هلـــك فهلك ذكره معه، وذكـــر مـــا فُعِـــل بـــه، وإن أخـــا هاشـــم (أي محمـــد (صلّـــى الله عليـــه وآلـــه)) يُصْـــرَخ بـــه في كـــل يـــوم خمـــس مـــرّات: أشهد أن محمـــداً رســـول الله، فـــأيّ عمل يبقـــى مـــع هـــذا، لا أمّ لـــك، والله إلاّ دَفْناً دَفْنـــاً.

يريد أنه يعمل ليُدفَنَ ذكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

وصف أمير المؤمنين عليّ لمعاوية:

في نهج البلاغة:

والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس؛ ولكن لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة.

يقول الأميني في الغدير:

ولابن أبي الحديد في شرحه كلمة ضافية في شرح هذه الخطبة، فيها فوائد جمّة من جهات شتّى، ومنها كلمة الجاحظ ابن عثمان حول معاوية، وقول أبي جعفر النقيب: إنّ معاوية من أهل

النـــار، لا لمخالفتـــــه عليّـــاً، ولا لمحاربتـــه إيّـــاه، ولكـــن عقيدتـــــه لم تكـــن صحيحـــة، ولا إيمانـــه حقـــاً، وكـــان مـــن رؤوس المنـــافقين هـــو وأبوه، ولم يُسْـــلِم قلبـــه قـــط، وإنمـــا أسلم لســـانه.

وكان يذكر من حديث معاوية:

ومن فَلَتات قوله، ومـــا حفـــظ عنـــه من كلام، يقتضـــي فســـاد العقيـــدة شيئاً كثـــيراً...

وروى العلاء بن حريز القشيري أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال لمعاوية:

لتخـــذنّ البدعـــة سُـــنّة، والقبـــح حســـنا، أكلـــك كثـــير، وظلمـــك عظيـــم[1].

---

(١) شرح النهج، ج٤، ص٧.

وعن الحسن، قال:

أربع خصالٍ كُنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه منهنَّ إلاّ واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيراً خمّيراً، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادّعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الولد للفراش وللعاهر الحَجَر، وقتله حُجْراً، ويلاً له من حُجْر! مرتين[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ج٣، ص٢٣٢، أحداث سنة ٥١.

ومن أراد المزيد، فليراجع كتاب "الغدير" للشيخ الأميني، الجزء العاشر، وليراجع كتب التاريخ ليجد فيها هنات وهنات.

ذهنية الأمويين العامة في الحكم:

عندما نتكلم عن ذهنية الأمويين، فإنا نتكلم عن الذهنية العامة لحكامهم، وليس عن الأشخاص؛ وإلا، فإن فيهم أشخاصا مؤمنين صالحين، أمثال معاوية الثاني، أي معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فإنه رغم كونه ابن يزيد وحفيد معاوية، لكنه كان رجلا تقيا ورعا صالحا زاهدا، لم تستعبده الدنيا، ولم يكن له طمع في شيء منها، ودام ملكه أربعين يوما، وتركه لأنه كما قيل لم يكن يرى نفسه أهلا للخلافة مع وجود علي بن الحسين (عليه السلام).

تصوروا أن شابا في ريعان شبابه، قد استوسقت له الدنيا وأسلمت قيادها له، فهو الحاكم لأعظم دولة على وجه الأرض، وانساقت له شهواتها من نساء ومال وذهب ومأكل ومشرب وسلطة وفتوحات وجيوش وخيل وجاه، وكل ما تشتهي نفس بشر في هذه الدنيا، ثم يقول بعد ذلك أنه لا يريد أن يدخل في إثم الناس، لأن الخلافة ليست له!!!

ولكن معاوية بن يزيد رحمه الله تعالى كان فردا، وكان أمثاله قلة في بني أمية، نعم كان حجة عليهم جميعا يوم القيامة؛ فإنهم إن برروا سفكهم الدماء وظلمهم وقسوتهم وتمسكهم بحق ليس لهم، إذا برروا ذلك بأن الملك عقيم، وأن الملك لا يرفضه بشر، فإن أمثال معاوية بن يزيد حجة عليهم، تماما كنبي الله سليمان بن داوود (عليه السلام) الذي هو حجة على كل ملوك البشر.

ومن هنا، عندما نتحدث عن الأمويين، فإنما نعني الذهنية العامة التي تحركهم.

ذهنية معاوية:

لقد مر معنا كلامه:

الأرض لله، وأنا خليفة الله، فما آخذ من مال الله فهو لي، وما تركته كان جائزا لي[1].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي، ج٣، ص٥٢، الطبعة الرابعة.

وإليك هذا الموقف الآخر لمعاوية:

لما تم الصلح بين معاوية وبين الحسن بن علي (عليه السلام)، وشعر باستتباب الأمر له، وبات لا يخاف أحدا، خطب في أهل الكوفة:

يا أهل الكوفة، أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج؟ وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وألي رقابكم، وقد أتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إن كل دم أصيب في هذه مطلول[1]، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين[2].

---

(١) مطلول: مهدور ومبطل.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٦، ص٢٢٠.

هذا النص يطفح في إظهار ما في النفس من حب الدنيا والسلطة والغدر والإستخفاف بالعهود والمواثيق.

ذهنية عمرو بن العاص:

كان واليا على مصر من قبل معاوية؛ سأله صاحب إخنا بمصر أن يخبره بمقدار ما عليه من الجزية؟ فأجابه:

لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك، إنما أنتم خزانة لنا، إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم[1].

ذهنية سعيد بن العاص:

كان واليا لعثمان بن عفان على الكوفة، وقد نقل عنه المسعودي في "مروج الذهب" ضمن نقاش دار بينه وبين مالك الأشتر:

---

(١) ثورة الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص٦٩، طبعة المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت.

إنمـــا هـــذا الســـواد قطـــين

لقريـــش[١][٢].

والسواد هو البساتين والسهول الزراعية الواسعة في العراق.

ونقل بعضهم ذلك بنص آخر:

إنما العـــراق بســـتان لقريـــش، مـــا

شـــئنا أخذنـــا منـــه، ومـــا شـــــئنا

تركنـــاه.

وكأن جهاد المسلمين كان فقط لبطر قريش وتنعمها وتسلطها، هذا الجهاد الذي كان لنشر الإسلام وتطبيق العدالة، وليكون رحمة للعـــالمين يخرجهم من الظلمات إلى النور، كأن هذا الجهاد الذي لم يكـــن بدافـــع القتال والحرب والتوسع، بل بدافع رفع الحواجز أمام انتشار الفكر والدين الإسلامي فيما لو أقيمت هذه الحواجز، أي أن الحرب ضـــد الإرهـــاب

---

(١) عن لسان العرب لابن منظور: القطين: أتباع الملك ومماليكه، وأيضا: الخـــدم والأتبـــاع والحشم.

(٢) مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص٣٤٦.

والقمع من أجل الحرية، ومع عدم هذه الحواجز لا تشرع الحرب أصلا، يقول تعالى:

﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[1].

هذا الجهاد وهذه الفتوحات حولها بنو أمية إلى أراض مستباحة يدفع الناس فيها الضرائب لإرضاء الحكام وتغطية لنفقات ترفهم على حساب كرامة وعرق المساكين من المواطنين.

بل حتى الخليفة الثالث عثمان بن عفان نفسه يقول:

لنأخذن حاجتنا من هذا الفيء، وإن رغمت أنوف أقوام[2].

وفي نص آخر:

---

(١) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٣، ص٤٩.

فغضب عثمان وقال: هذا مال الله أعطيه من شئت، وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم.

الإسلام دين سلام:

متى تشرّع الحرب في الإسلام:

لا بأس بالتعريج على هذا الموضوع، وبالإشارة إلى أن الإسلام دين سلام ورحمة ووئام، وليس دين حرب وعنف.

ولم يَدْعُ الإسلام أبداً يوماً للحرب من أجل التسلّط ونهب ثروات الشعوب، كما هو منطق كثير من الأمم في الحرب، وكما تقتضيه الجهة السلبية من فلسفة الصراع من أجل البقاء، بل كما تقتضيه الأنانية، سواء كانت أنانية سلطان فرد، أم أنانية أمّة.

لقد اشتهر عند المؤرخين أنه لم يعرف العالم فاتحاً أرحم من المسلمين، بل كانت البلاد تفتح أبوابها استقبالاً للفاتح الجديد، هذه الأمّة التي أرسل الله نبيَّها رحمةً للعالمين، ليخرج الناس من ظلمات الكفر

والظلم، إلى نور الحق والعدالة، وإن أصبح ملوك المسلمين من بني أميّة وغيرهم، وللأسف الشديد، وفي كثير من الأحيان، يفتحون البلاد في أنحاء العالم طمعاً بالغنائم، ولتوسيع رقعة سيطرتهم، ولجبي الضرائب.

نعم، تشرّع الحرب في حالتين:

الحالة الأولى: حالة الدفاع، وهذا أمر مشروع بالوجدان، ولذا لم يحارب النبي (صلّى الله عليه وآله) كفّار قريش إلاّ بعد أن هجّروا المسلمين، وأخرجوهم من ديارهم، ونهبوا أموالهم، وبعدما ظلموهم وقطّعوا الطرق في وجههم، ومنعوهم من إبلاغ رسالتهم؛ فنزل قوله تعالى:

﴿أُذِنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظُلِموا

وإن الله على نصرهم لقدير ۞

الذين أُخرجوا من ديارهم بغير

حق إلاّ أن يقولوا ربّنا الله ولولا

دفع الله الناس بعضهم ببعض

لهدّمت صوامع وبيع وصلوات

ومساجد يذكر فيها اسم الله

كثيرا ولينصرن الله من ينصره
إن الله لقوي عزيز * الذين إن
مكناهم في الأرض أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله
عاقبة الأمور»[1].

وانظر إلى موقف القرآن من الناس المسالمين، الذين لا يؤذون المسلمين، لقد نهى القرآن عن حربهم وقتالهم، بل أجاز الإحسان إليهم:

«لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم أن تبروهم
وتقسطوا إليهم إن الله يحب
المقسطين * إنما ينهاكم عن
الذين قاتلوكم في الدين

---

(١) سورة الحج، ٣٩ــ٤١.

وأخرجوكم من دياركم

وظاهروا على إخراجكم أن

تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم

الظالمون»[1].

وانظر إلى موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر عندما أرسله واليا على مصر، هذا العهد الذي يعتبر من أهم النصوص في الفكر الإنساني العالمي في مسألة العلاقة بين الحاكم والمحكوم، حيث يوصي الإمام الوالي مالكا الأشتر بالرأفة والرحمة بالناس جميعا، مسلمين وغير مسلمين:

الناس اثنان: إما أخ لك في

الدين، أو نظير لك في الخلق[2].

الحالة الثانية: وهي فيما لو أقام الآخرون الحواجز دون تبليغ كلمة الله، وإلا فإن الإسلام دعا إلى نبذ العنف:

---

(١) سورة الممتحنة: آية ٨ـ٩.

(٢) نهج البلاغة، كتاب ٥٣، عهد الأشتر.

﴿لا إكـــراه في الديـــن قـــد تبيَّـــــن الرشد من الغـــيّ﴾[١].

وإلى الحوار:

﴿وادعُ إلى ســـبيل ربّـــك بالحكمـــة والموعظـــة الحســـنة وجـــادلهم بـــالتي هي أحســـــن إنّ ربّـــك هـــو أعلـــم بمن ضلّ عـــن ســـبيله وهـــو أعلـــم بالمـــهتدين﴾[٢].

بل دعا إلى النقاش الهادئ العلمي العقلاني للوصول إلى الحقيقة كما يقول القرآن الكريم عن لسان النبي (صلّى الله عليه وآله) مخاطباً الكفّار:

﴿وإنّا أو إيّـــاكم لعلـــى هـــدىً أو في ضلال مبـــين﴾[٣].

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

(٢) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٣) سورة سبأ، آية ٢٤.

ومن هنا، ولأن أعداء الله يحاولون إطفاء نور الله، وحجب الحقيقة عن الناس بمنع انتشاره بشتى الوسائل، ووضع الحواجز دون استفادة شعوب الأرض من هذه النعمة الربانية، جاز رفع هذه الحواجز فقط، ولو فرضنا أن العالم كله يتعاطى مع الإسلام بكل روح علمية ومنطقية وإنسانية، ولم يحاول هذا العالم الظالم منع الإسلام بالعنف والقوة والتعصب، لما كانت الحرب مشروعة من وجهة نظر دينية[1].

ولذا، فإن كل التجاوزات، أو كل ما شاب الفتوحات الإسلامية من بعض التصرفات التي نهى الإسلام عنها عند التعامل مع شعوب الأرض غير المسلمة، فإن منشأها هو هؤلاء السلاطين أمثال بني أمية وبني العباس، الذين فتحوا باسم الإسلام، ولم يكن غرضهم (هم شخصيا) سوى الفتح والسلطة والغنائم.

---

(١) وهذا الموضوع مبحوث في الكتب الفقهية في باب الجهاد، فمن أراد التوسع فليراجع.

نماذج

من ظلم الأمويين وولاتهم

نماذج من ظلم الأمويين وولاتهم:

لقد كثرت الثورات على بني أميّة، وهي تدلّ بكثرتها على شدة الظلم الممارس على الناس، فتتأجج النفوس، وتكبر الأحقاد، وتمتلأ القلوب ضغينة، وتتفاقم الأمور، لتصل إلى النتيجة الحتمية عند بني البشر، وهي الثورة. يقول الشاعر:

إن ملكت الرقاب فابغ رضاها
فلها سَوْرَة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأمْـ
ـر فكيف الخلائق العقلاء

وقد مرَّ معنا المنحى الفكري لسياسة الأمويين، مع المسلمين وغير المسلمين، ومع الأرض التي فتحت باسم الإسلام، تلك الفتوحات التي قامت بها أمّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، التي بناها لتكون خير أمّة أُخرجت للناس، وإذا ببني أميّة يحوّلونها إلى مجرد سلطان وملك عقيم، ووسيلة لزيادة ترفهم وتسلّطهم، فإنك بمجرَّد أن تنظر إلى كلماتهم التي

مرَّت يظهر لك ذلك بوضوح، فسواد العراق بستان لقريش، ومصر طعمة لعمرو بن العاص يتصرف فيها كيف شاء وعلى هواه[١]، وأنّ المال مال الله، وأنا خليفة الله، فما أخذت فلي، وما أعطيت كان جائزاً لي.

إكراه الناس على البيعة:

لما كانت سنة ٥٠ كتب معاوية إلى الأمصار أن يفدوا عليه، فوفد عليه من كل مصر قوم.....، ثم جلس معاوية في أصحابه وأذن للوفود، فدخلوا عليه، وقد تقدَّم في أصحابه أن يقولوا في يزيد (أي يثنوا عليه) فكان أوّل مَنْ تكلّم الضحّاك بن قيس.....، ثم تكلّم عمرو

---

(١) وأتبع لها أفريقية.

بـــن ســـــعيد.....، ثم قـــام يزيـــد بـــن المقفّـــع فقـــال: أمـــير المؤمنين هـــذا، وأشـــار إلى معاويـــة، فـــإن هلـــك، فـــهذا، وأشـــار إلى يزيـــد، فمَـــنْ أبى فـــهذا، وأشـــار إلى ســـيفه. فقـــال معاويـــة: اجلـــس فـــإنك ســـيد الخطبـــاء..... إلى آخر القصـــة[1].

سفك الدماء بلا حساب:

لم يكن للإنسان احترام عند الأمراء والولاة من بني أميّة، بينما أكّـد الإسلام احترام الإنسان كإنسان، فالحدود تُدرأ بالشبهات[2]، وأوجـــب الاحتياط في الدماء، فلا يقتل متّهم، مثلاً، إلاّ بعد إثبات أنه قاتل عن عمد.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ج٣، ص٣٥٧، طبع دار الأندلس، بيروت.

(٢) أي: لو فرضنا شخصاً ارتكب ما يقتضي الحدّ، وشككنا أنه فعل ما فعل عن عمـــد أو خطأً أو شبهة، فإنه لا يُقام عليه الحدّ.

سفك الدماء إرهاباً:

كان زياد بن أبيه والياً لمعاوية على البصرة[١]، ساس الناس بسياسة لم يُرَ مثلها، وهابه الناس هيبة لم يهابوها يوماً أحداً قبله، كما يقول الطبري في تاريخه، وكان من جملة قراراته منع التجوّل ليلاً، يقول الطبري:

ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج، فيخرج ولا يرى إنساناً إلاّ قتله؛ قال: فأخذ ليلة أعرابياً، فأتى به زياداً، فقال: هل سمعت النداء؟ (أي نداء المنادي بمنع التجوّل ليلاً) قال: لا والله، قدمت بحَلوبة لي،

---

(١) زياد ابن أبيه، ويدعى زياد بن سُمَيّة، لأنّ أمّه سميّة زنت فيه، وادّعاه عدد من الرجال منهم أبو سفيان، فأراد معاوية استمالته، فأغراه بأمور منها أن يدعوَه لأبيه، فصار يسمّى زياد بن أبي سفيان، وصار أخ الخليفة، ومعاوية بهذا التصرّف يخالف القرآن **﴿ادّعوهم لآبائهم﴾** سورة الأحزاب، آية ٥، ويخالف إجماع المسلمين وسنّة النبيّ (صلّى الله عليه وآله): **"الولد للفراش وللعاهر الحجر"**، أي أن الزاني ليس له أن يدّعي أن الولد له. انظر وسائل الشيعة، كتاب النكاح، ج١٤، ب٥٨ من أبواب نكاح العبيد والإماء، ج٣، و٤، و٧.

وغشيني الليل، فاضطررتُ إلى موضع، فأقمت لأصبح، ولا عِلْمَ لي بما كان من الأمير؛ قال: أظنك والله صادقاً، ولكن في قتلك صلاح هذه الأمّة. ثم أمر فضُربت عنقه[1].

ويكمل الطبري بعد ذلك:

...وكان زياد أوّل مَنْ شدَّ أمر السلطان، وأكّد الملك لمعاوية، وألزم الناس الطاعة، وتقدَّم في العقوبة، وجرَّد السيف، وأخذ بالظنّة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً، حتى أمِنَ الناس بعضهم

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير، مجلد ٣، ص١٩٨، أحداث سنة ٤٥.

بعضـــا... (أي صـــار يخـــاف بعضهم بعضـــا).

سفك الدماء استهتارا:

كان سمرة بن جندب واليا على البصرة[1]، يروي الطبري في تاريخه:

---

(١) سمرة بن جندب كان معاندا لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهـــو الـــذي ورد فيـــه حديث: "لا ضرر ولا ضرار في الإسلام"، والقصة أن سمرة كان له عذق (أي نخلـــة) في بستان أحد الأنصار، وكان للأنصاري بيت في هذا البستان، وكان سمرة يأتي نخلته ويمـــر ببيت الأنصاري من دون استئذان، فطلب منه الأنصاري أن يستأذن، فأبى، فشـــكاه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فطلب منه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يستأذن في الدخول، فأبى، فطلب بيع النخلة، فأبى، ودفع له أغلى الأثمان، فأبى، وقال له: بعها ولـــك بدلها عذق في الجنة، فأبى!!! فالتفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الأنصاري وقال: يا أنصاري، اذهب واقتلعها، وارم بها وجهه، والتفت إلى سمرة وقال: يا سمرة، إنك رجـــل مضار، وإنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام. انظر إلى هذا الرجل الذي يرفض وعد رســـول الله (صلى الله عليه وآله) بنخل له في الجنة، كيف يجعله معاوية من حاشـــيته وخواصـــه وولاته، إنه نموذج لمساعديه ووزرائه. ثم إن معاوية جمع لزياد البصرة والكوفـــة، وكـــان يتبعهما خراســـان وسجستان والـــري والســـند (أي إيـــران وباكســـتان وآذربيجـــان وكازاخستان وطاجكستان وأفغانستان ومعظم وسط آسيا)، فتوجه زيـــاد إلى الكوفـــة واستعمل (أي ولى) على البصرة سمرة بن جندب. وجعل معاوية سمرة من جملة المحدثين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). ينقل ابن أبي الحديد عن أبي جعفر محمد بـــن عبـــد الله الإسكافي وكان أحد أئمة المعتزلة: "أن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين-

أقبل سمرة من المدينة، فلما كان عند دور بني أسد، خرج رجل من بعض أزقتهم ففجأ أوائل الخيل، فحمل عليه رجل من القوم[١] فأوجره الحربة[٢]؛ قال:

= على رواية أخبار قبيحة في علي (عليهم السلام)، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا (أي مكافأة من مال أو منصب) يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، ومنهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير" "شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٤، ص٦٣، طبعة دار إحياء التراث العربي. وروى سمرة بن جندب أحاديث مختلقة في الذم والقدح في علي بن أبي طالب (عليهم السلام) إرضاء لمعاوية: "قال أبو جعفر: وقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿ **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** ﴾ [سورة البقرة، آية ٢٠٤ــ٢٠٥]. وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم (وهو قاتل علي (عليهم السلام) غدرا بسيف مسموم في مسجد الكوفة)، وهي قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾ [سورة البقرة: آية ٢٠٧]، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف درهم، فقبل وروى ذلك.

(١) أي من رجال حرس سمرة.

(٢) أي طعنه بالحربة.

ثم مضت الخيل، فأتى عليه سمرة بن جندب وهو متشحط بدمه، فقال: ما هذا؟ قيل: أصابته أوائل خيل الأمير؛ قال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أستنتا[1].

هكذا، وبكل بساطة يستهتر بدماء الناس، فإنه يجب (برأي سمرة) على الناس أخذ احتياطاتهم بمجرد سماعهم بركوب الأمير، ومن يصرع قدمه مهدور.

يروي الطبري عن محمد بن سليم قال:

سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى مَنْ قتل سمرة بن جندب! استخلفه زياد على البصرة،

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٠٨، أحداث سنة ٥٠ هجرية.

وأتى الكوفة، فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس؛ فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت[١].

وفي نفس المصدر:

قتل سمرة من قومي في غداة[٢] سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن.

الغدر:

لقد أعطى معاوية الحسن بن علي (عليه السلام) شروطاً، وذلك في متن عقد الصلح بينهما، منها أن يكون الخليفة من بعده الحسن أو الحسين، فغدر معاوية وجعل الخلافة من بعده لابنه يزيد؛ ومنها عدم

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٠٨، أحداث سنة ٥٠ هجرية.

(٢) الغداة: الصبيحة.

ملاحقة أتباع عليّ (عليه السلام) فلاحقهم معاوية وقتل الأطهار من الصحابة أمثال حجر بن عدي الكندي (رض)، وكان رأس عمرو بن الحمق الخزاعي أول رأس حمل في الإسلام، وانظر إلى خطاب معاوية في أهل الكوفة بعد الصلح.

وكل شرط شَرَطْتُه فتحت
قدميَّ هاتين[1].

وفي نصٍ آخر:

أني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا
لتصوموا ولا لتحجّوا ولا
لتزكّوا، وإنما قاتلتكم لأتأمّر
عليكم، وقد أعطاني الله ذلك
وأنتم كارهون، ألا وإني قد
منيّت الحسن بن علي وأعطيته

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٦، ص٢٢٠.

أشـــياء، وجميعـــها تحـــت قدمـــــي لا

أفي بشيء منـــــها[١].

ومن أراد المزيد فلينظر إلى كتب التاريخ والسير، فإنها مملوءة بمظـالم الأمويين، وقد وصف الحسين (عليه السلام) هذه الحالة:

... في كل بلد منـــــهم علـــى منـــبره

خطيـــب يصقـــع[٢]، فـــالأرض لهـــم

شاغرة، وأيديـــــهم فيـــها مبســـوطة،

والناس لهـــــم خـــول[٣]، لا يدفعـــون

يـــد لامـــس[٤]، فمـــن بـــين جبـــار

عنيـــــد، وذي ســـــطوة علـــــى

الضعفـــة[٥] شـــــديد، مطـــــاع لا

---

(١) منتهى الآمال في تواريخ محمد والآل، ج١، ص٣٢١، طبع الدار الإسلامية، بيروت.

(٢) أي خطيب مؤثر في الناس بطوعهم لهم.

(٣) خول: عبيد.

(٤) أي لا يردون يدا تمتد عليهم.

(٥) الضعفة: الضعفاء.

يعـرف المُبـدئ والمعيـد[١]، فيـا
عجبـاً، ومـالي لا أعجـب،
والأرض بـين غـاشٍّ غشـوم،
ومتصدق ظلـوم، وعـامل[٢] علـى
المؤمنين بهم غـير رحيـم...[٣].

انعكاس الصورة عند الباحثين:

وللأسف، وبعد أن كان العالم يفتح أبوابه للإسلام ديناً ورحمـة، ونظاماً عادلاً، وإذا بهذه التصرفات تقلب الصورة عند الباحثين من الشرق والغرب، وأصبحت الدولة الإسلامية لا تختلف في نظرهم عـن الدولـة الكسروية أو القيصرية، أو أيّة دولة ديكتاتورية، ليس فيها حرية للشعب، ولا ضمانات صحية أو إجتماعية تصون كرامة الإنسان، فطفقوا يكتبـون عن الرأسمالية الإسلامية وحكم الفرد بحسـب رغباتـه، مستشـهدين بتصرفات سلاطين بني أميّة وبني العباس.

---

(١) أي الله عزّ وجلّ.

(٢) عامل: المراد به الوالي والأمير.

(٣) بحار الأنوار للمحدّث المجلسي، ج١٠٠، ص٨٠، ناقلاً عن كتاب تحف العقول.

الإنحراف التشريعي

الإنحراف التشريعي:

الإستهتار بسنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في مقام التشريع:

ذكر الشيخ الأميني في كتابه الغدير:

أخرج مالك والنسائي وغيرهما من طريق عطاء بن يسار: إن معاوية (رضي الله عنه) باع سقاية من ذهب أو ورق[1] بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء (رضي الله عنه): سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نهى عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل. فقال معاوية: ما أرى بهذا بأساً. فقال له أبو الدرداء (رضي الله عنه): مَنْ يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسول

---

(١) الورق: الفضة.

الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يخبرني عن رأيه؛ لا أساكنك بأرض أنت بها. ثم قدم أبو الدرداء (رضي الله عنه) على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فذكر له ذلك، فكتب عمر إلى معاوية: أن لا تبع ذلك إلاّ مثلاً بمثل، وزناً بوزن[1].

انظر إلى كلمة معاوية: "ما أرى بهذا بأساً" ردّاً على رسول الله (صلّى الله عليه وآله). وهل نرى استخفافاً بسنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أكثر من هذا؟! أوليست سنّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حجّة يجب اتّباعها والعمل بها بإجماع المسلمين ومن ضروريات الدين، وبنص القرآن الكريم:

---

(١) الغدير للشيخ الأميني، ج١٠، ص٢٢٤.

وقد نقل هذا الحديث عن الترغيب والترهيب وموطأ ابن مالك، واختلاف للشافعي وسنن النسائي، وسنن البيهقي.

﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحيٌ يوحى﴾[١].

وأمْرِ القرآن الواضح باتّباع الرسول (صلّى الله عليه وآله):

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٢].

وهذا القول من معاوية ليس بمجرد عصيان، فإن العاصي بشرب الخمر أو القتل أو السرقة مثلاً لا يقول إنها حلال، بل يقول إنها حرام، ولكن إرادته ضعيفة أمام نفسه الأمّارة بالسوء، فيعصي الله. أمّا معاوية فهو يردُّ على رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أي الردّ على مستوى التشريع، لا على مستوى المسلك والفعل، وهو أمر أخطر بكثير من العصيان، إنه بدعة، وكل بدعة في النار.

---

(١) سورة النجم، آية ٣ــ٤.

(٢) سورة الحشر، آية ٧.

إحداثات بني أميّة:

وإليك بعض الأمثلة عن الإنحرافات في مقام التشريع:

عن المحلّى لابن حزم:

أحدث بنو أميّة تأخير الخروج إلى العيد، وتقديم الخطبة قبل الصلاة، والآذان والإقامة.

وعنه عن الشافعي قال:

لم يؤذّن للنبي (صلّى الله عليه وآله) ولا لأبي بكر ولا لعمر ولا لعثمان في العيدين حتى أحدث ذلك معاوية بالشام، فأحدثه الحَجّاج بالمدينة حين أُمّر عليها[1].

---

(١) الغدير للشيخ الأميني، ج١٠، ص٢٣٣.

ونقل في الغدير:

أن معاوية صلى الجمعة يوم الأربعاء، ونقل عن فتح الباري ونيل الأوطار أنه قدم وقت صلاة الجمعة إلى الضحى، بينما وقتها المضروب لها في شريعة الإسلام الزوال[1] لا غيره[2].

ومن أراد المزيد ففي كتب التاريخ والفقه والحديث الكثير.

تحليل حول هذه الإحداثات:

وقد يقال: ما غاية بني أمية من هذه الإحداثات، فإن الأذان في صلاة العيد لا يضر سلطانهم ولا سلطان أحد، ولا يعارض مصلحتهم؟

---

(١) الضحى: هو وقت ارتفاع الشمس بين الشروق والظهر.

(٢) الغدير للشيخ الأميني، ج١٠، ص٢٣٩.

والجواب: إن مجرد التجرؤ على مخالفة الدين في أمـــور تبـــدو في ظاهرها صغيرة يؤدّي شيئاً فشيئاً إلى الجرأة علـــى مخالفتـــه في الأشـــياء الكبيرة، فإنّ الغاية من هذه الإحداثات هي مجـــرد إحداثـــات، لأن زرع الإستهانة بأمور صغيرة في الدين يؤدّي بالناس إلى الإستهانة حتى بمخالفـــة سيد المرسلين، وهذا يؤدّي إلى اختراق الشريعة عندما يحلو لهم فـــيرتكبون ما يوافق أهواءهم[1].

الإنحرافات المسلكية:

وهي كثيرة جداً، ويكفي فيها ادّعاء موقع مهم وخطير كالخلافـــة، والذي هو أهم موقعٍ بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وتنصيبه ابنـــه يزيد شارب الخمور والمُعْلن بالفجور لهذا الموقع، وفرض ذلـــك بـــالقوة، واستعماله أهل الظلم والجور كولاة على المسلمين.

إلاّ أنه حتى في مسلكه الفردي كان بعيداً عن تقوى الله.

---

(١) للمزيد انظر النصائح الكافية، ص١٢٩.

شرب الخمر:

أخرج ابن عساكر في تاريخه، وابن سفيان في مسنده، وابن قانع، وابن منده، من طريق محمد بن كعب القرظي، قال:

غزا عبد الرحمن بن سهل الأنصاري زمن عثمان، ومعاوية أمير على الشام، فمرّت به روايا خمر (لمعاوية) فقام إليها برمحه. فقال: دعوه، فإنه شيخ قد ذهب عقله. فقال: كلا والله ما ذهب عقلي، ولكن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نهانا أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمراً، وأحلف بالله لئن بقيت حتى أرى في معاوية ما سمعت من رسول الله (صلّى الله عليه

وآلـــه)[1]، لأبقـــرنّ بطنـــه أو لأموتنّ دونـــه[2].

اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالسم:

يذكر محمد بن جرير الطبري في أحداث سنة ٤٦ هجرية:

أن عبـد الرحمـن بـن خـالد بـن الوليـد كـان قـد عظـم شـأنه بالشـام، ومـال إليـه أهلـها، لمـا كان عندهم مـن آثـار أبيـه خـالد بن الوليد، ولغنائـه عـن المسـلمين في أرض الـروم وبأسـه، حـتى خافه، وخشـي علـى نفسـه منـه، لميل الناس إليـه، فـأمر ابـن آثـال (النصـراني) أن يحتـال في قتلـه،

---

(١) يقصد قول الرسول الأكرم (ص): "إذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه"، النصائح الكافية، ص٧٢، نقلا عن كتاب صفين، ص٢٤٨، وعن كنوز الدقائق للمناوي، ص١٠.

(٢) الغدير للأميني، ج١٠، ص٢٢١.

وضمن لـــه إن هـــو فعـــل ذلـــك أن
يضع عنـــــه خراجـــه[١] مـــا عـــاش،
وأن يولّيـــه جبايـــة خـــراج حمـــص،
فلمّا قدم عبـــد الرحمـــن بـــن خـــالد
بـــن الوليـــد حمـــص منصرفـــاً مـــن
بلاد الـــروم، دسّ إليـــه ابـــن آثـــال
شربة مسمومة مـــع بعـــض مماليكـــه،
فشربها، فمـــات بحمـــص، فوفّـــى لـــه
معاوية بمـــا ضمـــن لـــه، وولاّه خـــراج
حمص، ووضع عنـــه خراجـــه[٢].

السكوت أصبح مساهمة في المشروع الأموي:

لقد بلغ الإنحراف حدّاً لا يمكن السكوت عنه، بل لم يعـــد مجـــرد إنحراف، لقد كان مشروعاً أمويّاً لقلب المفاهيم الإسلامية جذرياً، بحيـــث يسمح بتسخير الإسلام لأهوائهم.

---

(١) يضع عنه الخراج: يسقط عنه الضرائب.

(٢) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٤٦هـ، ج٣، ص٢٠٢.

عدم خروج الحسين (عليه السلام) لأجل السلطة:

ومن هذا كله نفهم أن الحسين ما خرج لأجل السلطة لعدم إمكانية ذلك في ذلك الزمن، فقد خُدِّر الناس وتعفّنت عقولهم وخارت نفوسهم، وكان من المحال قيامهم ضد الظلم وإزاحة الحاكم عن العرش. وقد تنبّأ بذلك الحسين، بل بعض أصحابه كعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب حين خروجه من المدينة وغيرهما[1].

وإن الوقائع تثبت ذلك، فإن مَنْ يقوم لأجل السلطة يحاول أن يجمع الناس حوله، لا أن يفرّقهم عنه، فيقول سأصل إلى السلطة وسأنتصر وسأحكم، ثم يغري الناس، خصوصاً القبائل والعشائر وأهل النفوذ بتعيين هذا أمير وذاك وزير وغير ذلك من وسائل الإغراء. بينما كان الحسين (عليه السلام) يقول:

سأُقتَل...

---

(١) ودّعه عبد الله بن عمر بن الخطاب باكياً قائلاً: "أستودعك الله يا أبا عبد الله، فإنك مقتول في وجهك هذا". بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٤، ص٣١٣، طبع مؤسسة الوفاء بيروت.

وكأني بأوصالي هذه تقطّعها
عسلان الفلوات، بين النواويس
وكربلاء"[١].

فمَنْ كان باذلاً فينا مهجته،
مُوطّناً على لقاء الله نفسه،
فليرحل معنا، فإني راحل
مُصْبحاً إن شاء الله[٢].

وكتب الحسين:

من الحسين بن علي إلى بني
هاشم: أمّا بعد، مَنْ لحق بي
منكم استشهد، ومن تخلّف عنّي
لم يبلغ الفتح والسلام[٣].

---

(١) مقتل الحسين للمقرّم، ص١٦٦، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.
(٢) بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٤، ص٣٦٧.
(٣) مقتل الحسين لابن طاووس، ص٢٧، طبع دار المرتضى، بيروت.

انظر إلى كلمة "**لم يبلغ الفتح**"، فإن استشهاد الحسين كان فتحاً، لأنه كان إعادة الإسلام إلى الحياة من جديد، وسيأتي بيان ذلك لاحقاً.

كما ورد استشهاد الحسين في الحديث عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، نذكر منه ما رواه ابن عساكر بإسناده عن شداد أبي عمار، قال:

قالت أم الفضل بنت الحرث، زوجة العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله، رأيت رؤيا أعظمك أن أذكرها لك! قال: اذكريها. قالت: رأيت كأن بضعة منك قُطعت فَوُضِعتْ في حجري! فقال صلى الله عليه وسلم: إنّ فاطمة حبلى تلد غلاماً أسمّيه حُسيناً وتضعه في حجرك؛ قالت: فولدت فاطمة حسيناً؛ فكان في حجري أُربّيه، فدخل عليَّ رسول الله صلّى الله

عليه وسلّم يوماً وحسين معي، فأخذ يلاعبه ساعة؛ ثم ذرفت عيناه! فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: هذا جبرئيل يخبرني أنّ أمّتي تقتل ابني هذا[1].

وكثير من الروايات والأحاديث الشريفة التي وردت على لسان الرسول (صلّى الله عليه وآله) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بل وعن الحسين (عليه السلام) نفسه باستشهاده.

وهو إخبار بالغيب، والغيب يعلمه الله، وأخبر به رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي أخبر الأئمة (عليهم السلام) به، يقول تعالى:

﴿عالِم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول...﴾[2].

---

(١) ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق، ص١٨٢، رقم ٢٣٥.

(٢) سورة الجن، آية ٢٧.

يقول الحسين نفسه:

...اللّهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لِنُريَ المعالِمَ من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعْمل بفرائضك وسنّتك وأحكامك[1].

أي إن مواقفنا ليست لمجرد السلطة والحكم، بل السلطة (لو طلبناها) فهي لإحقاق الحق، وإثبات العدل، والعمل بالفرائض والسنن.

ثم يُبيّن غاية حكم بني أميّة:

---

(١) هذه الكلمات نُقلت عن الحسين (عليهم السلام) أو عن علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فـإنكم ألا تنصرونـــا وتنصفونـــا

قَـوِيَ الظَلَمـةُ عليكـم، وعملـــوا

على إطفاء نـــور نبيّكـم...[1].

إنه المشروع الأموي: إطفاء نور النبوة، وإنشاء سلطة قوية.

لم يقم الحسين ضد مجرد ظلم الحاكمين:

لقد كان ظلمٌ بعد الحسين (عليه السلام)، بل لعلّه زمن العباســيين أكثر منه زمن الأمويين، كما يقول الشاعر:

يا ليت ظلم بني مروان دام لنـــا

وليت عدل بني العباس في النـــار

كذلك قبل الحسين:

لقد قُسِّمت أموال المسلمين على فئة قليلة من الناس، واستأثر بنـــو أميّة بحكم الأمصار في زمن عثمان بن عفان، واضطُهِد بعـــض صحابـــة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كأبي ذر الغفاري الذي نُفي عن المدينـــة

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٨٠، ناقلاً عن تحف العقول.

المنوَّرة إلى الشام، عندما لم يُطِقْ معاوية (وكان آنذاك والياً على الشام من قِبَل عثمان) دعوته للحق وزهده ورساليته وعظمة نفسه، الـذي جعـل الناس تلتف حوله، وأُخرج من الشام بأمر من عثمان ونُفِيَ إلى الربـذة، وهي منطقة لا سكن فيها، حيث عاش هناك مع ابنته، وليـس عندهـا سوى شاة يعيشان منها، وتُوُفّي هناك وحيداً، فصدق قول رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) لأبي ذر:

يا أبـا ذر تمشـي وحـدك وتمـوت

وحدك وتُبعـث وحـدك[1].

ووزّعت أموال المسلمين بحسب الهوى والمصالح الخاصة، لا بحسب مصالح المسلمين وحاجاتهم، وبدل أن تنفق على مستحقّيها إذا بها تدخـل في جيوب المحسوبين على الدولة، مستغلّين ضعف الخليفة عثمـان بـن عفان، وميله إلى عشيرته من بني أميّة، وبذلك ظهرت طبقة ثريّة جـداً، وإلى جانبها طبقات فقيرة، وكان سبب ذلك استئثار عثمان وعشيرته من بني أميّة والمحسوبين عليه، والولاة الذين عيَّنهم بالفيء والغنائم.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج٣، ص٢٨، ناقلاً عن عبد الله بن مسعود.

نماذج من أثرياء السلطة:

يتطرق المسعودي في مروج الذهب إلى مَنْ مَلَك الثروات الضخمة في تلك الحقبة:

فقد بلغت ثروة الزبير خمسين ألف دينار[1] وألف فرس وألف عبد وضياعاً وخططاً[2] في البصرة والكوفة ومصر والإسكندرية.

وكانت غلّة طلحة بن عبيد الله من العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر، وبناحية الشراة أكثر مما ذكرنا.

وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف مائة فرس، وله ألف

---

(١) وكانت القيمة الشرائية للدينار آنذاك عالية.

(٢) عن لسان العرب لابن منظور: واختط فلان خطة إذا تحجَّر موضعاً وخط عليه بجدار.

بعير وعشرة آلاف شاة، وبلغ ربع ثمن ماله بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً.

وحين مات زيد بن ثابت خلّف من الذهب والفضة ما كان يكسَّر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار.

ومات يعلى بن منبه وخلّف خمسمائة ألف دينار، وديوناً وعقارات وغير ذلك ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار.

وأمّا عثمان نفسه، فكان له يوم قتل عند خازنه مائة وخمسون ألف دينار، ومليون درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى

وحنين وغيرهما مائـــة ألـــف دينـــار،

وخلّف خيلاً كثـــيراً وإبـــلاً.

وبعد سرد هذه الثروات الضخمة يقول المسعودي:

وهذا بـــاب يتســـع ذكـــره، ويكـــثر

وصفـــه فيمـــن تملّـــك الأمـــوال في

أيامه (أي أيـــام عثمـــان)[1].

ومع كل هذا وغيره، ورغم كل الإنحرافات في التشريع الإســـلامي التي حدثت قبل الحسين وبعده، لم يقف أحد من الأئمة (عليهم الســـلام) موقفاً استشهادياً، ذلك أن الإنحراف لم يبلغ الخط الأحمر الـــذي بلغـــه المشروع الأموي، وهو نسف الدين من الداخل وانقلابه من رحمةً للعالمين إلى نقمة عليهم، يطوّعهم لظلم الظالمين، فتُحنَى رقابُهم، وتُبتَزُّ أموالُـــهم وكراماتُهم طوعاً، كما بيَّنا سابقاً.

---

(١) مروج الذهب للمسعودي، ج٢، ص٣٤١ــ٣٤٢.

ولأنه لم يبلغ الخط الأحمر، كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول:

لأسلّمنّ ما سَلِمَتْ أمور المسلمين ولم يكن فيها إلاّ جَوْرٌ عليّ خاصة[1].

ما أعظمك يا أمير المؤمنين! لكنها رسالتك.

---

(١) نهج البلاغة، ج١، ص١٥١.

الموقف الصعب

الموقف الصعب:

لقد كان الأمويون يعلمون جيداً أن الحسين (عليه السلام) هو سيد المسلمين، ولو كان في صف المعارضة، ولم تكن السلطة في يده؛ فقد كان سيد قلوب الناس، الإمام المعصوم، الثقة، العدل، حامل همّ الأمّة، وحارس دين النبي، وقد عبَّر عن ذلك الشاعر المشهور الفرزدَق بقوله مخاطباً الحسين وهو في طريقه إلى كربلاء:

قلوبهم معك وسيوفهم عليك[1].

وهم يعلمون أيضاً أن مبايعة الحسين ليزيد تعني رضى العرب والمسلمين جميعاً، واستتباب الأمر لهم، فيدعِّم ملكهم، ويقوى سلطانهم.

وكان الحسين لم يبايع ليزيد في أيام معاوية، فلمّا مات معاوية، أرسل يزيد إلى واليه على المدينة، الوليد بن عتبة:

---

(١) مقتل الحسين للمقرّم، ص١٧٤، طبع دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

أمّا بعـــد، فخـــذ حســـيناً وعبـــد الله

بـــن عمـــر وعبـــد الله بـــن الزبـــير

بالبيعة أخـــذاً شـــديداً، ليْســـتْ فيـــه

رخصـــة حـــــتى يبـــــايعوا،

والســـلام[1]

ثم جمع مجلسٌ كلاً من الوليد ومروان بن الحكم والحســـين، قـــال مروان للوليد:

احبـــس الرجـــل (أي الحســـين) ولا

يخرج مـــن عنـــدك حـــتى يبـــايع أو

تضرب عنقـــه...[2].

وكان الموقف الصعب: إمّا البيعة ليزيد، وإمّا القتل.

---

(١) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٦٠، ج٣، ص٢٦٩.

(٢) تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٧٠، أحداث سنة ٦٠ هجرية.

موقف الحسين:

إنّ البيعة ليزيد تعني الغطاء الشرعي لمسلك بني أميّة وللفكر الـــذي سوّقوه بين الناس، وإذا أُعْطِيَت البيعة من قِبَل شخص كالحسين (عليـــه السلام) في موقعه ورمزيته في العالم الإسلامي، فإن ذلك يعني الإعـــتراف بشرعية الفكر الأموي السالف الذكر. وبهذا يندثر الإســـلام المحمـــدي الأصيل، ليحلّ محلّه ظلم وجبروت وديكتاتورية، تأخذ من الإسلام لباســاً واسماً، ومن الجاهلية مضموناً وجوهراً.

ويختصر الحسين غاية أولئك الظالمين:

فـإنكم إن لا تنصرونـا وتنصفونـا

قَـوِيَ الظلمـة عليكـم، وعملـوا

على إطفاء نـور نبيّكـم...[1].

إن بيعة الحسين ليزيد تعني إطفاء نور رسول الله (صلّى الله عليـــه وآله)، إذن هذه البيعة من منظور الحسين كإنسان مسؤول عن الرســـالة، وعن استقامتها كانت محالاً.

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج١٠٠، ص٨٠، ناقلاً عن تحف العقول.

وهو لا يريد السلطة والحكم، لأنها محال في تلك الظروف بسبب خَوَرَان نفوس الأمّة كما بيَّنا.

لكن بني أميّة لم يَدَعُوه لأنه الخطر الأكبر عليهم، فخيَّروه بين البيعة والقتل، كما بيَّنا ذلك قبل قليل تحت عنوان "الموقف الصعب".

البيان الأول لحركة الحسين:

وكان البيان الأول لحركة الحسين عندما قال مخاطباً الوليد بن عتبة أمير المدينة آنذاك:

إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، مُعلنٌ بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله[1].

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٥.

هذه العبارة: **"ومثلي لا يبايع مثله"** تلخّص روح حركة الحسين، إنه لا يريد إعطاء شرعية لفكر يناقض روح الإسلام، وفي نفس الوقت، هو لا يريد القتال أيضاً.

وبدأت **الرحلة السلميّة**، بدأت بخروجه (عليه السلام) من المدينة، مروراً بمكة، وانتهت باستشهاده (عليه السلام) في كربلاء.

الحركة السلمية في مواجهة الباطل:

إنه "اللاعنف" بكل معانيه الإيجابية تَلْمُسُه في كل موقف وحركة وسَكَنَة في هذه الرحلة.

خرج من مكة كي لا يُقتل فيها فتنتهك حرمتها.

وأذِنَ للناس بالتفرُّق عنه لأن بني أميّة يطلبونه دونهم.

وفي كربلاء، يَعِظُ هذا الجيش الكبير الواقف تجاه قلّة مؤمنة طاهرة خالصة، يَعِظَهم الحسين ويُبيّن لهم الحق من الباطل، ولعجزهم يجيب قيس بن الأشعث:

لا ندري ما تقول يا حسين،

ولكن انزل على حكم بني

عمّـك، فـإنهم لـن يُـرُوك إلاّ مـا تحـبّ.

فقال الحسين (عليه السلام):

لا والله لا أعطيكـم بيـدي إعطـاء الذليل، ولا أفرُّ فـرار العبيـد[1].

وعندما يبالغ في النصيحة يقول له شمر بن ذي الجوشن:

أعَجِلْتَ بالنار يـا حسـين.

فَيَهِمُّ مسلم بن عوسجة (رض) أحد أصحاب الحسـين أن يرميـه بسهم، فيمنعه الحسين قائلاً:

لا ترمِهِ فإني أكـره أن أبدأهـم[2].

وتطلب منه ابنته أن يعود:

إذن، رُدّنا إلى حـرم جدّنـا.

---

(١) الإرشاد، للشيخ محمد بن النعمان العكبري، الملقّب بالمفيد، ص٢٣٥.

(٢) الإرشاد، ص٢٣٤.

فيقول:

هيهات هيـــهات، لـــو تُـــرِك القطـــا

ليلاً لنـــام[1].

إنها بصمات الموعظة الحسنة و "اللاعنف" الموجودة في كل حركـــة وسكنة من هذه الرحلة السلميّة التي انتهت بفاجعة كربلاء، لأن القـــوم خيَّروه بين البيعة أو القتل، فاختار الشهادة.

لم يكن الاستشهاد غاية، بل كان خياراً بين أمرين أحلاهما مرّ:

ـــ بين البيعة التي يكسب فيها الحسين دنيا عريضة، لكنها تعني عـــدم كون الحسين حسيناً، وبهذا ينطفئ نور الإسلام.

ـــ وبين القتل الذي يعني الاستشهاد مع الأصحاب وسبي النساء.

وتتوالى البيانات الحسينية:

ألا وإنّ الدعـــيّ وابـــن الدعـــيّ قـــد

ركـــز بـــين اثنتـــين: بـــين السِـــلّة

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٥، ص٤٧.

والذلّة، وهيهات، ما آخذ الدنيّة، أبى الله ذلك ورسوله، وجدودٌ طابت، وحجورٌ طهرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبيّة، لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام[1].

المواجهة والمعركة الدموية ضمن الحركة السلمية:

وإذا كان لا بدّ من مواجهة، فلتكن، مهما كبُرت التضحيات، لأنّ المضحَّى لأجله أكبر، إنه حفظ الدين والإنسان، ومع تحقق المواجهة فإنها ستجري بأسبابها وأنماطها الطبيعية، فيرسل الحسين (عليه السلام) الكتب والرسائل إلى الأمصار، ويطلب النصرة، ويستنهض الهمم، كيلا يكون لأحدٍ حجّة في أنه لم يُطلَبْ منه المؤازرة، وقبل المعركة يعبّئ جيشه الصغير جداً نسبة إلى جيش الأعداء، فكان جيشه الشريف حوالي السبعين، بينما يقدّر جيش الأعداء بعشرات الآلاف. ورغم صِغَر جيشه ووضوح

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج٤٥، ص٩.

النتيجة، فقد قسّمه إلى ميمنة وميسرة وقلب، ووزّع المسؤوليات وأعطى الرايات، وهو الوضع الطبيعي للمواجهة، وبهذا كانت المعركة معركة دفاعٍ لا معركة هجوم؛ فكانت معركةً دمويةً فُرِضتْ عليه سلام الله عليه ضمن الحركة السلميَّة.

استشهاد الحسين (عليه السلام):

وكانت النتيجة الحتمية، الاستشهاد لحفظ الدين وصون الأمّة، وبهذا أخبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما مرّ، بل والأئمة، وهذا معنى أن القتل كُتِب عليهم، وبهذا امتاز الحسين عن كل الشهداء في التاريخ، فبكته الملائكة، وبكاه الأنبياء، وورد ذكره على ألسنتهم، حتى العهد القديم أشار إلى استشهاد الحسين، وذلك عندما يذكر انتقام الربّ:

"فهذا اليوم للسيد ربّ الجنود،

يوم نقمة، للانتقام من مبغضيه".

ثم يذكر السبب:

"لأن للسيد ربّ الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات"[1].

نتيجة استشهاد الحسين (عليه السلام):

وكان ما توخاه الإمام الحسين (عليه السلام):

لقد استيقظت الأمة بعد أن خدرها حكامها.

لقد استعادت عنفوانها بعد أن كانت النفوس خائرة، فكثرت الثورات ضد الظالمين، واهتزت عروشهم.

لقد استفاقت بعد أن فوجئت باستشهاد رجل عظيم سيد في أعظم دولة وأمة على وجه الأرض آنذاك.

لقد صفعت الأمة بعد أن فجعت بسيد شباب أهل الجنة مذبوحا على شاطئ الفرات.

---

(١) أرميا: ٤٦: ٢ـ١١.

وعلمت أن الأفكار التي يُروِّجُ لها الأمويون ليست الإسلام الـــذي أتى به محمد (صلّى الله عليه وآله)، وبهذا انكشفت المدرســـة الأمويّـــة، وأصبحت بلا غطاء شرعي.

وبدأت الأمّة تميِّز بين مدرستين:

بين مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ومدرسة بني أميّة.

بين مدرسة الإسلام المحمدي، ومدرسة الإسلام المزيّف.

وهذه كانت النتيجة المتوخاة: وعي الأمّة لهذا الإنحراف الخطـــير، وكشف الغطاء عن تزييف الإسلام، وإعادته ناصعاً، طاهراً، صافياً، رحمة للعالمين.

ولهذا قيل: الإسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء.

ولعلّه يفسِّر الحديث النبوي الشريف:

حســـين منّـــي وأنـــا مـــن حســـين،

أحبّ الله مَنْ أحـــبّ حســـيناً.

إن عدم البيعة من رجل مثل الحسين أو استشهاده سيؤدي حتماً إلى سقوط دولة الظلم (وهذا ما حدث).

لقد كانت كربلاء أكبر من ثورة وأهمّ من نهضة وأقسى من صفعة.

لقد عرفت الأمّة طريقها، تعلّمت رفض التزييف والتشبث بالحقيقة، تعلّمت مواجهة الظالمين كما يقول الحسين (عليه السلام):

والله ما أرى الموت إلاّ سعادة
والحياة مع الظالمين إلاّ ذُلاً وندماً[1].

وأن تعود إلى كتاب الله:

﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾[2].

من أهم دروس عاشوراء:

أن تضع الأمّة غاية نصب أعينها في كل حركة، وأن تضع مشروعاً تهدف إلى تنفيذه، فليست الثورة لأجل الثورة، حيث إنّها تكون نتيجة

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، ج٣، ص٣٦٦.

(٢) سورة هود، آية ١١٣.

لاحتقان وتراكم ممارساتٍ تؤدّي إلى انفجار، وليس التحرّك لأجل التحرّك، ولا الاستشهاد لأجل الاستشهاد، بل يكون لأجل مشروع وهدف وغاية مرسومةٍ ساميةٍ، وكلما كانت الغاية عظيمة، كانت التضحيات أعظم.

وهكذا كانت حركة الحسين، حركة لحفظ الدين، وإسقاط الظالمين.

وقد تحقق ما أراد (عليه السلام)، عبَّر عن ذلك أجمل تعبير، الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، عندما عاد إلى المدينة بعد فاجعة كربلاء:

جاءه إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله، فقال له: مَنْ الغالب؟ فأجابه الإمام (عليه السلام): إذا دخل وقت الصلاة، فأذّن وأقِمْ تعرف مَنْ الغالب[1].

---

(١) مقتل الحسين للمقرّم، ص٦٦.

وأيضاً:

تعلّمت الأمّة أن الثورة أو الحركة تحتاج إلى الزمان والمكان المناسبين، وإلاّ فلو استشهد الحسين زمن معاوية لما كانت الغاية المتوخاة، فإن معاوية رغم كل محاولاته لنسف أسس الإسلام كما بيّنا، إلاّ أنه كان يلبس لباس الدين، ويتظاهر بالتقوى، وبهذا أغْشى عيون الناس.

فقد طفق القُصّاص والوعّاظ والخطباء يخترعون له الأحاديث على لسان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في فضائله، وينشرون أخلاقه، والناس تصدّقهم للبساطة التي تحكم عادة عامة الناس، وعدم التحقيق والتدقيق عندهم، فانتشر بين الناس مثلاً حِلْمُ معاوية، ونُسجَ على ذلك حكايات وقصص في حلمه، كقصص الوافدات عليه، لكنهم نسوا أن معاوية قتل الصحابي الجليل حُجْر بن عدي الكندي (رض) وأصحابه ظلماً وصبراً، وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم كثيرون، فأين الحلم؟

وانتشر بين الناس وفاء معاوية، ونسوا غدره بصلح الحسن!

وانتشر اهتمامه بشؤون وهموم الأمّة، ونسوا تنصيبه لابنه الفاسق الفاجر يزيد على رقاب المسلمين!

وانتشر بين الناس كرمه وسخاؤه وهو كان يجبي الضرائب ويوزّعها على خصوص حاشيته وجلاوزته ومواليه، ليعيش الباقي في الفقر!

لقد كان يَتَزَيَّا بزيّ التقوى والإيمان، وانطلى ذلك على عامة الناس، كان ممثّلاً بارعاً.

ولو استشهد الحسين في أقصى بلاد المسلمين، كما أشار عليه عبد الله بن عباس، ومحمد بن الحنفية، وغيرهما من الأصحاب في الذهاب إلى اليمن أو غيرها من الأصقاع، لما كان لاستشهاده ذلك الأثر المدوّي.

ولو هرب الحسين (عليه السلام) إلى الشعاب ورؤوس الجبال، أو إلى المفاوز والمناطق الوعرة فراراً بنفسه وأهله من الموقف والمواجهة، لفرغت الساحة، ولصال الفكر الأموي وجال من دون منازع، ولَكَسِبَ الغطاء الشرعي الذي يكفل له الاستمرار والدوام، ولأعطى الحسين هروبه الشرعية لخَوَرَان النفوس الذي كان سائداً في تلك الحقبة.

لم يكن غير الحسين (عليه السلام) يستطيع القيام بهذا الدور:

بل لا يوجد غير الحسين؛ إن نسبة التخدير التي وصلت إليها الأمّة كانت عالية جداً، فما عاد ينفع الكلام ولا المواعظ لإزالة هذه الأفكار الهدّامة التي أدّت إلى نشوء مجتمع خائر، وكان لا بدّ من شخصية عظيمة تضحي بالغالي والنفيس من أجل إيقاظ الأمّة.

ومَنْ كان غير الحسين؟

سيد قلوب المسلمين، ومحلّ احترامهم، ورأس المعارضة للحاكم الظالم في أعظم دولة على وجه الأرض آنذاك، حيث كانت الدولة الإسلامية تحكم من المحيط الأطلسي غرباً إلى مشارف الهند شرقاً.

هذا من الجهة الدنيوية.

أما من الجهة الأخروية فهو الإمام المعصوم الذي نزل القرآن بعصمته:

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

وأهل البيت بناء على معظم المفسّرين والأحاديث الشريفة هم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. والرجس هو القذارة المعنوية، والمراد عصمتهم من الذنوب.

والحسين سيد شباب أهل الجنّة كما ورد في الحديث:

أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة[1].

والحسين إمام قام أم قعد:

إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا[2].

وهو ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذي ارتبطت محبّته بمحبة الله، وبغضه ببغض الله:

---

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٣١٩، أحداث سنة ٦١ هجرية.

(٢) المناقب لابن شهراشوب، ج٣، ص٣٦٧.

مَنْ أحبَّ الحسن والحسين أحبيتُه، ومَنْ أحببتُه أحبَّه الله، ومَنْ أحبَّه الله أدخله الجنّة، ومَنْ أبغضهما أبغضتُه، ومَنْ أبغضتُه أبغضه الله، ومَنْ أبغضه الله خلّده النار[1].

(١) المناقب، ج٣، ص٣٨٢.

ميزة الحسين (عليه السلام) عن
كل ثوار الدنيا

ميزة الحسين عن كل ثوار الدنيا:

بغضّ النظر عن الإسلام والدين والروايات عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقد يقال: إنّ في أنحاء الدنيا ثواراً كثيرين قاموا وثاروا ضد الظلم واستشهدوا، فما ميزة الحسين (عليه السلام)؟

نقول للسائل: هناك في الدنيا مَنْ قام ضد الظلم والجور في الشرق والغرب، مسلمين وغير مسلمين، إلاّ أن الحسين هو الشخصية الوحيدة الفريدة في التاريخ التي تتمتع بهذا الثقل المعنوي والروحي والمادي، ثم ضحّت بكل غالٍ ونفيس حتى بالنفس وبأهل البيت وبالأبناء والأخوة وأبناء العمومة وبالأطفال والنساء، وبالأصحاب. كل ذلك ليس لأجل رفع الحيف عن نفسه ولا عن أصحابه، كما هو شأن الثوار في العالم، فما كان هو بشخصه مضطهداً، بل لقد كان سيداً مهاباً عظيماً، إنه الحسين سيد الحجاز[1]، المطاع بين الناس، الكريم السخي، ملجأ الملهوفين،

---

(١) هو تعبير عبد الله بن عباس مخاطباً الحسين: "..أقم بهذا البلد، فإنك سيد الحجاز..". تاريخ الطبري، ج٣، ص٢٩٥، طبع دار الكتب العلمية، بيروت.

وغياث المحتاجين، ولكن لأجل إعادة الحياة إلى مفهومٍ ودينٍ وفكرٍ وأمّـة، من أجل صون رسالة عن الإنحراف، إنه الوحيد الفريد في التاريخ الـذي كان كذلك؛ فليس في الشرق والغرب مثله، إنه الشهيد المميّز بين كل بني البشر، إنه رمز الأحرار في كل مكان.

أهمية إحياء ذكرى
الحسين (عليه السلام)
لكل البشرية

أهمية إحياء ذكرى الحسين لكل البشرية:

ولأن إحياء ذكرى الحسين (عليه السلام) وإقامة مجالس العزاء والاحتفال بذكرى عاشوراء هو تجديد عهد وميثاق مع نهج الإسلام، الذي هو نهج الإنسان ونهج الفطرة، مع رجلٍ ضحّى بكل ما يملك من أجل البشر، كل البشر، ومن أجل الإنسان، من أجل الحق، ودحضاً للباطل.

ومجالس العزاء تعني أن يعيش الحق دائماً في نفوسنا، ويكون هو منارة الطريق.

فليست المجالس الحسينية ضد أحد من الناس إطلاقاً، وليست ضد بني أميَّة خاصة، بل هي ضد نهج يريد الإنحراف عن الحق وتحطيم الإنسان، ولذا نجد كثيراً من الحكّام، ممن جاء بعد بني أميّة حاربوا ذكرى الحسين كما سنوضع لاحقاً.

إن استمرار الحرية بمعناها الحقيقي في العالم كله رهن باستمرار نهج الحسين، واستمرار نهج الحسين رهن بإحياء ذكراه.

لاحظ عزيزي القارئ، عندما تكون مجالس الحسين وزيارته مدارس للفكر وللحرية وموقفا من الظلم، لا مجرد طقوس وتقاليد، تكون مصدر خوف وقلق للحاكمين الجائرين، فنجدهم يحاربون هذه المجالس، ويحاربون زيارة الحسين (عليه السلام)، من حين استشهاد الحسين إلى يومنا هذا. نذكر منهم الخليفة العباسي المتوكل الذي حاول منع الناس من زيارة الحسين (عليه السلام)، ولما وجد أن وسائل المنع بشتى أشكالها لم تفلح في إيقاف تدفق الناس لزيارته (عليه السلام)، أمر بهدم القبر الشريف، وزرع ما حوله وسقيه بالماء كي يعفى أثره[1]، إلاّ أن الروايات وكتب التاريخ تقول أن الماء قد حار حول قبرة الشريف، ولذا سمّي بالحائر الحسيني[2].

فكم هو جميل ورائع أن تحتفل الدنيا كلها باستشهاد الحسين.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٥، ص٣١٢، أحداث سنة ٢٣٦ هجرية.

(٢) في كتاب جواهر الكلام في شرح الإسلام، ج١٤، ص٣٤٠، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، نقلاً عن كتاب الذكرى للشهيد الأول محمد بن مكي: أن الحائر الحسيني هو الموضع الذي حار فيه الماء لما أمر المتوكل بإطلاقه على قبر الحسين (عليه السلام) ليعفيه، فكان ذلك لا يبلغه.

لقد اشتهر قول المهاتما غاندي:

تعلّمت من الحسين كيف أكون

مظلوماً فأنتصر.

وبعد هذا كله نتساءل: متى يبدأ العالم من مسلمين ومسيحيين وغيرهم، بالاستفادة من أنوار المدرسة الحسينية، وإلى متى يبقى الاحتفال باستشهاد الحسين مقتصراً على المسلمين الشيعة في الغالب؟

المسألة ليست صراعاً عشائرياً:

لقد حاول بنو أميّة التخلّص من الضغط الجماهيري الذي سبّبه ثقل الحسين وأهل البيت الربّاني والفكري، فلجأوا إلى تصوير الصراع بأنه مسألة عشائرية، بين بني هاشم وبني أميّة، حتى قال يزيد بن معاوية عند وصول نبأ استشهاد الحسين:

ليتَ أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج[1] من وقع الأسل[2]

---

(١) الخزرج من أنصار رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

(٢) الأسل: السيوف.

لأهلُوا واستهلّوا فرحـــاً

ثم قـــالوا يـــا يزيـــــد لا تشـــل

قد قتلنا القرم من ســـاداتهم

وعَدَلنـــا ميـــل بـــدر فـــــاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقـــم

من بـــني أحمـــد مـــا كـــان فعـــل

لعبت هاشم بالملك فـــلا

خـــبر جـــاء ولا وحـــي نـــزل[1]

عبَّر يزيد عن النبوة بأنها ملك، والصراع صراع بين عائلتين.

ومن قبله قول جدّه أبي سفيان للعباس عمّ النبي (صلّى الله عليه وآله):

لقـــد أصبـــح ملـــك ابـــن أخيـــك

عظيمـــاً. فأجابـــه العبـــاس: ويحـــك

إنها النبـــوة[2].

---

(١) حياة الإمام الحسين بن علي للشيخ باقر شريف القرشي، ج٣، ص٣٧٧، ناقلاً عن أعلام النساء، ج١، ص٥٠٤، وعن البداية والنهاية، ج٨، ص١٩٢.

(٢) تاريخ الطبري، ج٢، ص١٥٨، أحداث السنة الثامنة بعد الهجرة.

وللأسف فقد انتشرت هذه الفكرة بين الناس حتى وقع فيها بعض محبّي أهل البيت، فقال:

عبد شمسٍ قد اضمرت لبني
هاشم حرباً يشيبُ منها الوليدُ
فابن حربٍ للمصطفى وابن هندٍ
لعليٍّ وللحسين يزيد

الصورة واضحة: عشيرتان متنازعتان، فابن حرب للمصطفى، أي أبو سفيان للنبي محمد (صلّى الله عليه وآله)، وابن هند لعليّ، أي معاوية لعليّ، وللحسين يزيد، كل ما في الأمر أن بني أميّة عشيرةُ سوء ظالمة لبني هاشم، إنها الصورة التي سعى بنو أميّة لتثبيتها في عقول الناس.

يقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ردّاً على هذه الصورة:

إنا وآل أبي سفيان أهل بيتين
تعادينا في الله، قلنا صدق الله،
وقالوا كذب الله[1].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي، ج٥٢، ص١٩٠.

وأختصر نوعية الصراع بهذه الكلمة.

لماذا الدمعة؟

وقد يسأل سائل:

لماذا نبكي على الحسين؟ وما الفائدة من الدموع بعدمرور ١٤ قرنا من الفاجعة؟

ونقول له:

إن كل عمل بلا عاطفة فهو جمود.

فالعقل يحكم بوجوب اتباع الحق، ويحكم بأن الظلم قبيح، وأن العدل حسن، وأنه يجب مناصرة أهل الحق، لكن هذا الحكم العقلي يحتاج إلى تفعيل، فيحتاج إلى عاطفة تحرك الإنسان في اتجاهه، ألا ترى أن إنقاذ غريق أو سد حاجة محتاج أمر حسن مرغوب فيه يحكم العقل به، ويتحرك الإنسان لأجله، ولكن الحركة تكون أكبر لو كانت تربطه بك عاطفة، كما لو كان ابنك أو أخاك أو صديقك أو غير ذلك.

وكلما كانت العلاقة العاطفية أقوى، كان العطاء أكبر.

من هنا، نلاحظ أن أكثر الناس عطاء، أكثرهم عاطفة.

والبكاء على الحسين (عليه السلام) يفعّل في النفس العاطفة على الدين، وعلى الناس، يفعّل حبَّ الحقيقة، ويُغذّي في نفس كل بشر تحمّل المسؤولية، ويحرّك الإنسان باتجاه نصرة القضية التي استشهد من أجلها الحسين، وهي مقاومة تحريف الدين والفطرة البشرية، ويغذّي في نفس كل بشر روح المسؤولية تجاه الحقيقة، أي تجاه الإنسانية.

إن استمرار الحرية في الدنيا، بحقيقتها لا بظاهرها، رهن باستمرار نهج الحسين، واستمرار نهج الحسين رهن باستمرار ذكراه، فتعالوا أيها الناس من كل الأديان والمذاهب والنِحَل لنحيي ذكرى الحسين.

من هنا وردت أحاديث وروايات كثيرة تحضّ على البكاء على الحسين (عليه السلام) نذكر منها:

عن الإمام علي بن موسى الرضى (عليه السلام): مَنْ تَذَكّر مصابنا، وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة؛ ومَنْ ذُكّر بمصابنا فبكى

وأبكى، لم تبـــكِ عينـــه يـــوم تبكـــي
العيون؛ ومَـــنْ جلـــس مجلســـاً يحيـــا
فيه أمرنا، لم يمت قلبـــه يـــوم تمـــوت
القلـــوب[1].

وروايات كثيرة جداً مذكورة في نفس المصدر وغيره.

(١) بحار الأنوار، للمجلسي، ج٤٤، ص٢٧٨، ناقلاً عن أمالي الصدوق، المجلس ١٧، الرقم ٤.

الفهرس

المقدمة ٧
ذهنية السلطة الأموية ١٧
نظرة سريعة على ماضي معاوية ١٧
ذهنية معاوية ٢٠
الحل ٢٢
معالم المدرستين ٢٣
مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ٢٥
معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ٢٥
نظرة الإسلام إلى الحرية ٢٨
الضمان الإجتماعي وضمان الشيخوخة ٣١
معالم المدرسة الأموية ٣٨
تحريم مقاومة الظلم ٣٨
العمود الفقري للفكر الإسلامي ٣٩

رفض الظلم يجري في دماء البشر ٣٩
التصدّي للظلم من طبيعة البشر ٤٠
الفطرة البشرية ٤٠
تأكيد الإسلام لهذه الفطرة ٤١
القرآن ٤١
ذم الظلم ٤١
وجوب التصدّي للظالمين ٤١
السنّة الشريفة ٤٤
المدرسة الإسلامية ٤٥
موقف معاوية ٥٠
وسائل نشر فكرة تشريع الخضوع للحاكم الظالم ٥٣
أ. اختراع الأحاديث ٥٣
ب. اختراع المذاهب واستغلالها ٦٥
أ. الإرجاء ٦٥
زمن ظهوره ٦٧
الغاية من الإرجاء ٦٨
أثر مذهب الإرجاء ٦٩
الإرجاء ثبّت حكم بني أمية ٧٠

ب. الجبر ٧١
النتيجة ٧١
استغلال الأمويين لمسألة القدر ٧٣
مقالة عمر بن سعد ٧٦
مقالة شمر بن ذي الجوشن ٧٩
مقالة عبيد الله بن زياد ٨٣
مقالة يزيد بن معاوية ٨٥
الفرق بين المشيئة والإرادة ٨٨
ج. الشعراء ٩٠
د. الوعّاظ والخطباء ٩٨
هـ. كبت الأمويين وقمع الحريات ١٠١
نتائج هذه المدرسة الأموية ١٠٥
معاوية وحقيقة موقفه من الإسلام ١٠٦
وصف أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) لمعاوية ١١٠
ذهنية الأمويين العامة في الحكم ١١٣
ذهنية معاوية ١١٤
ذهنية عمرو بن العاص ١١٦
ذهنية سعيد بن العاص ١١٦

الإسلام دين سلام..... ١١٩
متى تشرّع الحرب في الإسلام ١١٩
نماذج من ظلم الأمويين وولاتهم..... ١٢٧
إكراه الناس على البيعة ١٢٨
سفك الدماء بلا حساب ١٢٩
سفك الدماء إرهاباً..... ١٣٠
سفك الدماء استهتاراً ١٣٢
الغدر ١٣٥
انعكاس الصورة عند الباحثين ١٣٨
الإنحراف التشريعي..... ١٤١
إحداثات بني أميّة..... ١٤٤
تحليل حول هذه الإحداثات ١٤٥
الإنحرافات المسلكية ١٤٦
شرب الخمر ١٤٧
اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بالسم..... ١٤٨
السكوت أصبح مساهمة في المشروع الأموي..... ١٤٩
عدم خروج الحسين (عليه السلام) لأجل السلطة ١٥٠
لم يقم الحسين (عليه السلام) ضد مجرد ظلم الحاكمين ١٥٥
نماذج من أثرياء السلطة ١٥٨

الموقف الصعب ١٦٣
موقف الحسين (عليه السلام)..... ١٦٥
البيان الأول لحركة الحسين (عليه السلام)..... ١٦٦
الحركة السلمية في مواجهة الباطل..... ١٦٧
المواجهة والمعركة الدموية ضمن الحركة السلمية ١٧٠
استشهاد الحسين (عليه السلام) ١٧١
نتيجة استشهاد الحسين (عليه السلام)..... ١٧٢
من أهم دروس عاشوراء ١٧٤
لم يكن غير الحسين (عليه السلام) يستطيع القيام بهذا الدور..... ١٧٨
ميزة الحسين (عليه السلام) عن كل ثوار الدنيا ١٨٣
أهمية إحياء ذكرى الحسين (عليه السلام) لكل البشرية ١٨٧
لماذا الدمعة..... ١٩٢
الفهرس ١٩٥

اللهم.. فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس

وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله (ع)

وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا

وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا

وارحم الصرخة التي كانت لنا

الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام)

تنضيد واخراج: رحاب بزي

لطالما رأينا الحسين (عليه السلام) ثائراً ضد الظلم، ثائراً أبى أن يحني هامته أمام جبروت المستكبرين، مثله مثل الكثيرين من قبله ومن بعده عند قليلي التأمل، لم تَرُقْ لي هذه الصورة الباهتة، كنت أرى في سيرته شعاعاً من النور يلمع بين السطور، خفي على كثيرين، شعاعاً يضيء جانباً من أرض المعركة لم تطأه أقدام الروائيين والقصّاصين، الذين أحبُّوا أن يكون الحسين (عليه السلام) بطل ملحمة كربلاء بطلاً شعبياً بامتياز.

ثمة فواصل في كربلاء تدلّ على أن الحسين لم يكن مجرّد ثائر، كربلاء كانت أكثر من "شقشقة". أخوه الإمام الحسن (عليه السلام) من قبله، وأولاده (عليهم السلام) من بعده، لم يقوموا بعمل ثوري مماثل، على الرغم من أن وتيرة الاضطهاد كانت في ارتفاع مستمر. ترى هل يختلف معاوية عن يزيد؟ أو هل يختلف يزيد عن بني العباس عن غيرهم من السلاطين؟ وطفقت أفتش في كتب السيرة والتاريخ، أقارن وأحلّل، علّني أصل إلى ذلك التمايز الذي جعل الحسين (عليه السلام) حيّاً، نبكيه بعد أكثر من ١٤٠٠ عام على استشهاده، وجعله مدرسة لكل الأحرار، فيقول غاندي بعد كل هذه القرون:

"علّمني الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر".

الحسين لم يكن مجرد ثائر، الحسين كان مدرسة عدالة الإسلام في مواجهة مدرسة **أسلمة الظلم**، الحسين لم يتطلب المعركة، المعركة كانت مجرد حلٍّ أخير تطلّبته المواجهة.